فضائيتان في زمن الحرب وزي السكر

(مقالات في السياسة والمجتمع)

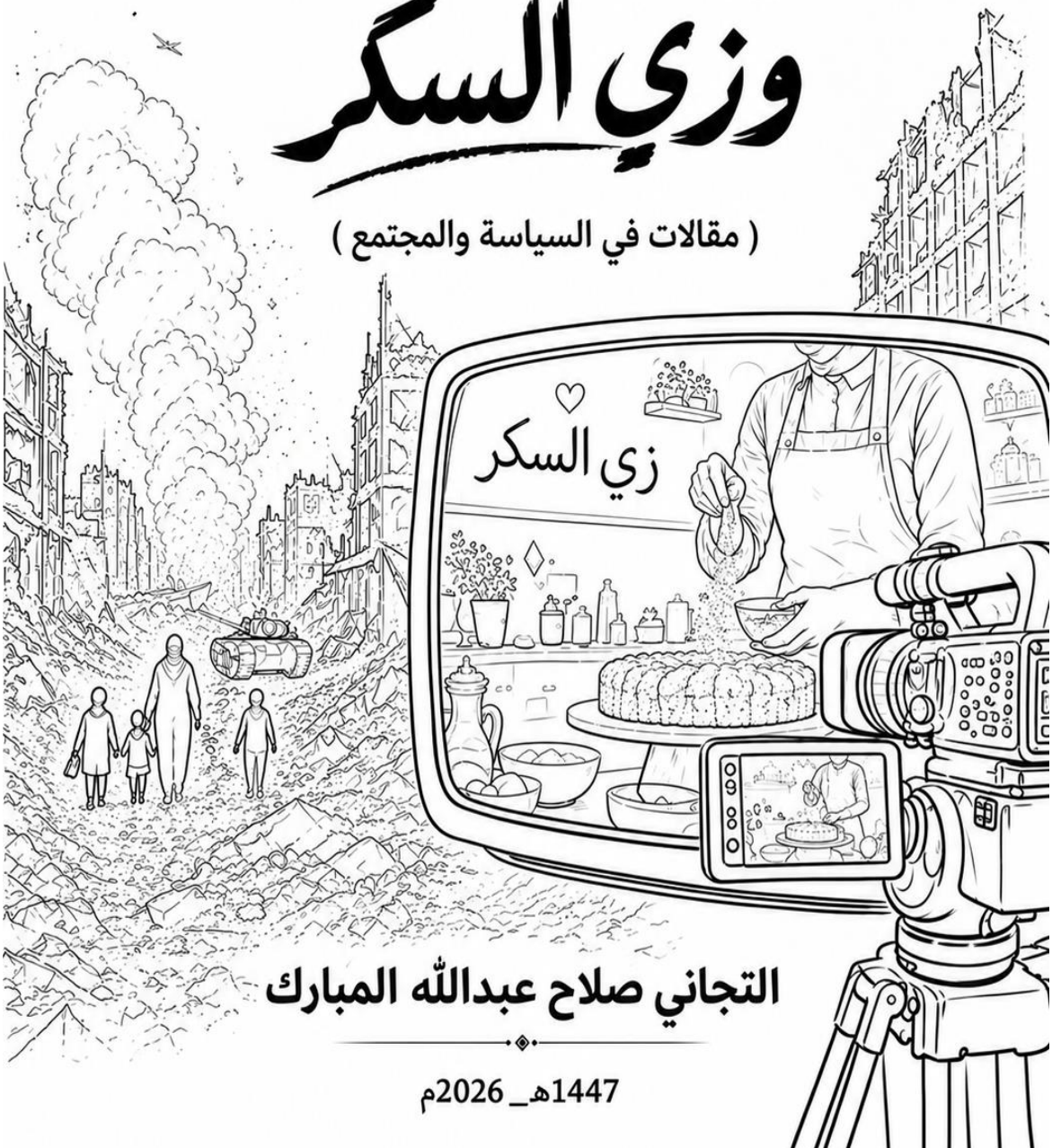


التجاني صلاح عبدالله المبارك

1447هـ_ 2026م

فضائيتان في زمن الحرب وزي السكر

(مقالات في السياسة والمجتمع)

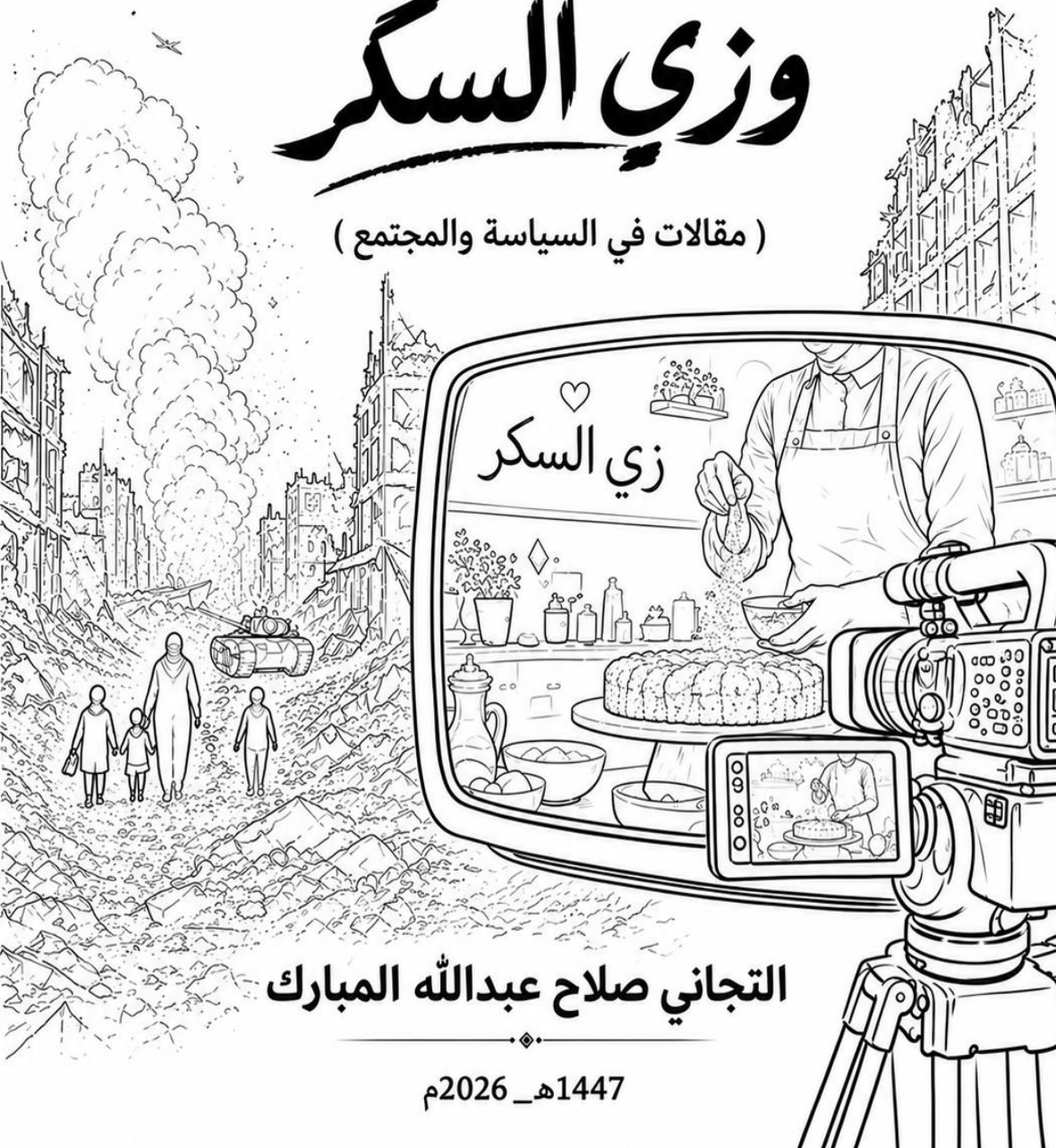


التجاني صلاح عبدالله المبارك

1447هـ_ 2026م

فضائيتان في زمن الحرب وزي السكر

(مقالات في السياسة والمجتمع)



التجاني صلاح عبدالله المبارك

1447هـ_ 2026م

حقوق الطبع محفوظة للمؤلف، ولا يسمح بطبع هذا الكتاب طبعة ورقية أو الكترونية أو ترجمته لأي جهة نشر إلا بموافقة المؤلف، ويسمح بالاقتباس مع الإشارة إلى المصدر

الصيدلية والوجود: حين تصبح الحقيقية وجهة نظر

من أغرب الظواهر والعجائب التي تستحق أن تدرس في الجامعات والكليات المتخصصة في علم النفس والمنطق والجنون معا فيما اتصور، هي تلك القدرة الفذة والرهيبة لبعض البشر على إنكار الحقيقة والانكار المطلق، مثل إنكار الشمس وهي فوق رؤوسنا جميعا! مع أن هذه الحالة في الحقيقة تدرس بكافة تفاصيلها وتعقيداتها في الكليات والمعاهد العلمية المتخصصة، لكن ربما كان وقعها ومعايشة هذا الانكار اليقيني القطعي والصارم على الواقع، هو ما دعاني لفرض هذا الاستحقاق والمقرر الصعب.

وهو إنكار (على الأقل الذي عايشت مرارته في الواقع) يمارس بثقةٍ مذهلة ومدهشة (وجه الادهاش والذهول هنا بالطبع بما يتركه الانكار والرفض المطلق للحقيقة في نفسي على الأقل أيضا، وربما على الكثيرين، هو الصدمة المرة والاحساس بخيبة الأمل).. يمارس بثقة يندر أن يمتلكها حتى العلماء عند

اكتشافهم النظريات!.. لماذا؟ لأنه إنكار متأصل في النفس، ويجعلك تعيد حساباتك في الزمان والمكان والعقل.

حدث هذا في يومٍ بسيط من أيام العمل، فقد ساق الله لي مثالًا نابضا لهذه الفصيلة النادرة من البشر، فقد جاءنا زميلٌ من مدينة امدرمان، أنيق الهندام، أنيق الكلمات، قصيرا، ممتلئًا نوعا ما، فقلت في نفسي: ها هو ذا قد جاء أيضا من يخفّف عنا ملل الأيام، ويشاركنا هم المهنة، كان يحمل حقيبة صغيرة على كتفه ، وعلى عينيه ابتسامة تلمّع كما لو كان عائدًا من معركة فكرية عظيمة.

حيّيته باحترام يليق بمن نزل ضيفًا علينا في غربتنا ونزوحنا، وفتحتُ معه باب الحديث اللطيف، فسألته متوددا عن أماكن عمله السابقة، فقال بثقة من يملك سيرةً مهنية عظيمة:

_كنت أعمل في صيدلية الشهيد عبد المنعم في أم درمان.

فابتسمت، وقلت بعد ان غلبتني الحماسة:

_سبحان الله! أنا أيضًا عملت فيها من قبل.. كانت أيامًا لا تنسى.. وذكريات عطرة مع دكتور عبدالهادي ودكتورة عفراء .

ابتسم هو الآخر وقال مؤيدًا:

_بالفعل، كانت جميلة.

قلت في نفسي، الدنيا حقا صغيرة.. أخيرًا وجدتُ من يشاركني ذكرى تلك الأيام الهادئة التي تفوح برائحة البنزايل بنسلين والرضا والسعادة ، ثم أضفتُ ولم أكن أعلم ان اضافتي ستفتح علي أبواب الخيبة والعذاب الفكري :

_نعم لا زلت أذكر موقعها تمامًا، داخل مركز صحي الشهيد عبد المنعم.

هنا حدث التحوّل، فقد رفع محدثي الضيف البدين رأسه ، وحدجني بنظرة شزراء منكرة ، وقال بثقة اليقين الغيبي:

_لا، لا يا دكتور، الصيدلية كانت على طرف المركز، وتفتح على الشارع العام، ممكن تكون بتتلخبط، الإنسان من طبعه النسيان، ما في مشكلة !

ظننت للحظة أن ذاكرتي أصابها الوهن، ثم رجحت أنها مزحة، فقلت وأنا أبتسم:

_أظن سيادتك تقصد صيدلية تانية، لأن دي أنا كنت مشرفا عليها، داخل المركز تمامًا، ربما انت تخلط بينها وصيدلية أخرى.

ابتسم ابتسامة العارف وقال:

_ لا، لا، أنا متأكد، طرف المركز، تفتح على الشارع العام! يا دكتور يعني لو مررت بالعربية تشوفها قبل ما واحد يفتح خشمه ويخبرك.

سكتّ قليلا، ثم نظرت إليه مثلما ينظر الفيلسوف إلى معضلة الوجود نفسه، وتأملته قليلا ، فوجدت أن الحقيقة عند سيادته ليست شيئًا يُستدل عليه، بل إيمانٌ غيبي لا يجوز الحوار فيه.

هل تم تحويل الصيدلية من داخل المركز إلى طرفه بعد مغادرتي مباشرة؟ أم أن الرجل عاش تجربة أخرى وأصرّ على نسبتها إلى نفس الصيدلية؟ هل يعقل ان كل شيء بات "وجهة نظر"، حتى موقع الصيدلية!،.. كنت كل مرة أقول فيها "داخل المركز" يجيبني : "على الشارع العام!"، حتى كدت أصرخ بالصوت العالي: "يا أخي، والله كنت هناك.

هل يمكن أن أكون مخطئا؟ هل هُدمت الصيدلية وأعيد بناؤها على الشارع؟ أم أن هذا الرجل جاء من عالمٍ موازٍ فيه نسخة أخرى من الصيدلية؟، هل أغضبت هذا الرجل يومًا وأنا لا أدري، فقرر الانتقام بتدمير حقائقي؟ هل يُجري عليّ تجربة نفسية؟، هل هو مختبِر أرسلته جهةٌ سرية ما ليختبر مدى تحمّلي للعبث؟ هل يعقل أن نصوّت غدًا على اتجاه الشرق والغرب، فنقرّر أن الشمس تشرق من حيث نريد نحن؟

في تلك اللحظة، كنت بين خيارين:اما أن أستمر في الجدال العقيم إلى آخره حتى أفقد آخر ذرة من صوابي واتزاني، أو أن أبتسم وأقول لنفسي: خلاص يا صاحبي، مش مشكلة خلّيها تفتح على الشارع.

لكن الفضول عندي كان أقوى من الحكمة، فقلت له للمرة الأخيرة، محاولًا أن أستعيد زمام المنطق وادافع عن الحقائق والثوابت والوجود :

_يا أخي، هل يعقل؟ كنتُ اشرف عليها، وكنت أفتح بابها الداخلي بنفسي!

فأجابني بذات الثقة المتناهية:

_لا يا دكتور، يمكن كنت بتفتح باب تاني، بس هي كانت على الشارع.

توقفت عن الكلام، وأنا أسمع في رأسي صوتا خفيًا يقول:

لا شك ان لديه رسالة، ربما يريد أن يخبرني أن الحقيقة نسبية، أو أن الذاكرة خادعة، أو أنه هو وحده من يعرف الحقيقة المطلقة! هل هو مريض؟ هل هو مدرك لما يقول ؟

منذ ذلك اليوم، كلما رأيت وجهه، أشعر برغبةٍ في سؤاله مجددًا، فقط لأرى هل ما زال ثابتًا على رأيه وانكاره؟ ثم أقول في نفسي: لا، لا تفعل، دع الرجل يعيش سعيدًا بعالمه

الموازي، ويفتح الصيدلية في هذا الوجود حيث يشاء، على الشارع العام، تحت الأرض، فوق السطح، في المريخ، المهم أن يكون سعيدًا بعالمه وهو يملك هذه القدرة الفذة والرهيبة على إنكار الحقيقة والانكار المطلق، مثل إنكار الشمس وهي فوق رؤوسنا جميعا!

هذا الحادث اللغوي المروع

من المواقف المؤسفة والطريفة في آن واحد التي ربما تصادف البعض في محادثاتنا اليومية، أنء بعض الناس يتحدثون بكلمات لم يحسنوا حفظها على وجهها الصحيح، ولم يتأنوا في استخدامها في موضعها المناسب، لبيان المقصود بوضوح تام بعيدًا عن أي ابهام أو غموض ، فيلتبس المعنى وتضيع الفكرة.. سأتكلم اليوم عن كلمة ربما تكون عادية سهلة في معناها، وهي كلمة "مفخخة" وان كانت تبعث في النفس مشاعر الخوف والوجل، لكن عدم التريث والحفظ الجيد، جعل منها كلمة أخرى وهي "مفخفخة"! وهي تثير في النفس أيضا مشاعر أخرى عديدة ليس من بينها الخوف بالطبع، لكن الأسى والاسف أولاً على صاحبها، وتثير في النفس ايضاً الرغبة في الضحك، لولا ما يصدّها من توقيرٍ وأدب.

الكلمة كما نطقها صاحبنا يومذاك، وهو يتحدث عن الحادث البشع والارهابي البغيض، الذي تعرض له رئيس الوزراء

الاسبق "عبدالله حمدوك" عندما تعرض موكبه المهيب لانفجار سيارة مفخخة بجانبه ونجا من الموت بأعجوبة؛ قال يحدثنا وكان متأثرًا بالحادثة، غاضبًا مما جرى، لكنه لم ينتبه إلى ما قال وهو: انفجرت بالأمس سيارة "مفخفخة" بجانب موكب رئيس الوزراء.

ولأن الحدث كان سياسيًا جللاً، ازدادت المفارقة حدةً، فعبد الله حمدوك لم يكن مجرد رئيس حكومةٍ عابر، بل كان رمزًا لأملٍ وطنيٍّ خافتٍ بأن السودان يمكن أن يستيقظ من غفوته الطويلة، لكنّ خاب أمله، وأمل السودانيين معه جميعا، في رؤية اي تغيير حقيقي يمكن ان يكون بداية طريق جديد، حين انفتح الباب بموافقته أو بالاحرى بتخبطاته وفشله الذريع إذ ذاك أمام التدخلات الأجنبية، وعلى رأسها بعثة الأمم المتحدة بقيادة "فولكر بيرتس"، التي دخلت إلى تفاصيل الشأن السوداني حتى النخاع، حتى صارت جزءًا من صناع القرار ان لم تكن صانعة القرار ، لا من مراقبيه الخلص!

كان صاحبنا يتحدث بحماس صادق، غير أن لسانه خانه في لحظة اندفاع وتسرع، فاستبدل "مفخخة" بـ"مفخفخة"، وفي لحظةٍ قصيرةٍ، تحولت الكلمة إلى حادثٍ لغويٍّ مروع ومضحك في آنٍ واحد، لم أضحك يومها كما ذكرت، لكن شيئًا من الأسى تسلل إلى نفسي، ربما هو الأسى ذاته الذي كان

سيشعر به "سيبويه" أو "نفطويه" معا، لو سمعا بهذه الزلة البيضاء.

ومفخخة أصلها من فخخ، والفخ : المصيدة التي يصاد بها ، وقيل : هو معرب من كلام العجم ، والجمع فخوخ وفخاخ ،اما الخفخفة والفخفخة : فهي تنسب لصوت القرطاس أو الثوب الجديد حين الحركة، والفَخْفَخَةُ : الفَخْرُ بغير حقٍّ، فإن نسبت الفخفخة للرجل فهو يدعي الفخر بغير حق، وان نسبت للورق فهي صوت الورق أما سيارة مفخفخة فهذا استخدام لا يليق أبداً وسياق لم اسمعه إلا على لسان صاحبنا، والذي اتضح لي بعدها انه لا يقصد استخدام كلمة مفخفخة لذاتها، ويقصد مفخخة التي هي من الفعل ‘‘فخّخ’’ أي ملأ الشيءَ بالمتفجرات والالغام، والفعل مشتقّ من ‘‘الفخّ’’، وهو ما يُنصب للإيقاع بالفريسة، لكن غلب على ظنه أنها كلمة مفخخة التي تعني ان السيارة بها مواد متفجرة، وعلى الأرجح ان الكلمة حديثة عنده، لم تجد حظها من الأناة والصبر والفهم والنطق السليم، ربما لأنها من الكلمات الصعبة ففيها خاءين متتاليين، مما يزيد من صعوبتها في النطق السليم، وهذا بالفعل ما حدث لصاحبنا وربما للكثيرين غيره حين تتسارع أفكارهم فيسبق اللسان العقل، وربما كان هو يظن أنه يحسن النطق في خضمّ انفعاله، لكنه انتهى إلى خلق لفظٍ مشوه وهجينٍ، يدعو للأسى والضحك معا!

ولو أنه تريث قليلا وتمهل في حفظها على الوجه الصحيح، شأنها في ذلك شأن كل الكلمات الصعبة التي تتكرر فيها الحروف، لما وقع في ذلك الفخ أو الموقف المؤسف، لكن عدم التريث والصبر الذي هو اصبح سمة غالبة في عصرنا، هو ما أدخله هذا المدخل، لأننا نعيش في زمنٍ تسارعت فيه اللغة حتى فقدت وقارها ورصانتها، ولا أدري ماذا سيكون موقفه ونطقه لبعض الكلمات الصعبة أيضا اذا استدعى استعمالها، مثل كلمة تكأكأ و إفرنقع، في الجملة الشهيرة ل-عيسى بن عمر الثقفي عندما سقط من حماره، وتجمع الناس حوله؛ مالكم تكأكأتم عليّ كتكأكئكم على ذي جنة، افرنقعوا عني.

المشهد، عند التدقيق والتمحيص فيما اتصور، يكشف أكثر مما يظهر، الخطأ اللغوي هنا ليس مجرد زلة بيضاء أو عثرة عابرة، بل هو انعكاس لخلل أعمق في علاقتنا بالكلمة ومعانيها، نحن نعيش زمنًا أسرع من الفكر، حيث تُلقى العبارات قبل أن تتأملها العقول، وشتان وفرق كبير بين مفخخة ومفخفخة! ثم ماذا سيكون موقف صاحبنا إذا علم ان الجاحظ يرى في الخطأ اللفظي خطأ عقليا أيضًا، لأنه(أي الجاحظ) يرى أن اللفظ والمعنى متكاملان، وأن الخطأ في أحدهما يؤثر في الآخر، فإذا كان اللفظ غير بليغ أو غير سليم، فإن المعنى الذي ينقله يضطرب أو يضعف، ولا يكون الكلام صحيحًا في جوهره!

ما جرى على لسان صاحبنا والذي كنت أتمنى أن أوضح لسيادته الخطأ في النطق الذي وقع فيه بغير قصد، لكن لم تتوفر السانحة المناسبة لذلك، وعلمت بعد ذلك انه سافر خارج السودان، بعد أن تأزم الوضع جراء الحرب والتنظيف الكامل الذي تقوم به قوات الجيش الباسلة، ضد ميليشيات الجنجويد الارهابية والمرتزقة الكولومبيين، ما جرى يشبه تمامًا ما حدث في تجربة حمدوك السياسية القصيرة: نيةٌ طيبة، وتسرع في التنفيذ، وثقةٌ مفرطة عمياء في النوايا الأجنبية والعملاء، وحين تختلط المفردات اللغوية كما تختلط السياسات، لا يخرج من ذلك إلا الالتباس والاوضاع الصعبة، فتدويل الشأن السوداني الذي فتح بابه الرجل على مصراعيه بحسن نية، ساق على السودان شؤمًا وخرابا جديدًا، تمامًا كما الحقت "مفخفخة" على لغتنا الأصيلة المعتبرة، طرفة حزينةً بين الضحك والبكاء.

عن الرجل الذي خلع ملابسه وفواصل أخرى

من أكثر الأشياء المحزنة ـ بل المفزعة حقًّا ـ في حياتنا العامة المعاصرة، أن يرى المرء بأم بعينيه كيف تنحدر لغة الرأي والاحتجاج، سواء كان سياسيًّا أو اجتماعيًّا أو أيًّا كان سياق الاحتجاج، من كونها ممارسة عقلانية وأخلاقية، تهدف إلى عرض المظالم وتفكيك الوقائع، وإقناع الآخرين بالحجة والدليل، إلى هاوية سحيقة لا تنطوي على عرض اختلاف أو إبداء الرأي الآخر ـ وهو حقّ مشروع ويفترض ان لا ينازع فيه أحد، عدا طبعا في الدول التي يكثر فيها الطغاة والمستبدون، وهذا للأسف واقع منظور في كثير من دول منطقتنا العربية ـ وإنما تنزلق لغة الاحتجاج إلى تعرية الجسد والبدن!، والظهور أمام الناس بمظهر شبه عار!، إذ كيف يتحوّل مشهد الغضب العام من موقفٍ أخلاقيٍّ له مطالب واضحة وسياق ومشروعية، إلى فوضى رمزية أقرب إلى الهذيان الجماعي، أليس هذا محزنا ومفزعا أن يعرّي المرء ذاته أمام الناس، كما لو كان طفلًا فقد اللغة والمنطق معًا، فلم

يجد وسيلة للتعبير عمّا يعتمل في دواخله سوى أن يخلع ثيابه أمام الناظرين، في محاولة بدائية لجذب الانتباه بدلًا من إقناع العقول؟!

لقد شاهدنا جميعًا في الأيام الماضية متحدثًا يخطب في جمع من ابناء الجالية السودانية، بإحدى القاعات الكبرى في كمبالا، خطابا مشحونا بالحسرة والغضب على ما آل إليه حال السودان، وعلى الحرب المستعرة فيه، تلك الحرب التي يرى المتحدث أن «الكيزان والفلول» - وهو الوصف الذي تطلقه قوات الدعم السريع الإرهابية على مؤسسات الدولة السودانية وجيشها الوطني - مع قوات الدعم السريع الإرهابية نفسها، يتحملون مسؤوليتها كاملة.

لكن الفاجعة لم تكن في مضمون الخطاب، ولا في سخطه المشروع أو غير المشروع، بل كانت في المشهد ذاته؛ في تلك اللحظة التي قرر فيها الرجل أن يخلع قميصه، ثم يُرخِي بنطاله، ثم يقف عاريًا إلا من ملابسه الداخلية!، كأنما أراد فجأة أن يستبدل البيان السياسي بعرضٍ جسديٍّ فوضويّ، وأن يحوّل القاعة من منبر للرأي إلى مسرح للانهيار العصبي!

لا أحد، بطبيعة الحال، ينكر حق الإنسان في الغضب، ولا حقه في الاعتراض، ولا يملك أحد أن يصادر حقّ إنسان في التعبير عن رأيه، لكن التعبير، مهما بلغ من حدة وانفعال، لا يستلزم

بالضرورة أن يصاحبه عرضا مسرحيا بتعرية الجسد، مثلما فعل صاحبنا، وكان بإمكان هذا الرجل ـ بل بإمكان كل سوداني طحنته نيران الحرب، التي نتمنى جميعًا أن تنطفئ اليوم قبل غد، وأن ينصر الله فيها الجيش الوطني النظامي نصرًا كاملًا شاملا ـ أن يوضح موقفه بالوسائل الطبيعية والمألوفة، وأن يعرض سياقه وأدلته وحججه، دون ان يخلع عنه ستره، باعتبار أن الصدمة وحدها هي الطريق الأسرع لجذب الانتباه، في حين أن قوة الخطاب وصدق الألم، كانا أقدر على بلوغ العقول والقلوب معا، لو أحسن التعبير عنهما بالكلمة الواضحة والحجة المستقيمة.

وإذا كان "محمد تروس" ـ وهذا هو اسم المتحدث ـ يتصوّر أن اللجوء إلى مشاهد غير مألوفة وصادمة في ظاهرها، كفيل وحده بمنح رسالته القدرة على اختراق العقول، فماذا سيقول صاحبنا لو اطّلع على تجربة حركة Fkk الألمانية التي نشأت في أواخر القرن التاسع عشر، والتي لم أقف ـ في حدود اطلاعي ـ على جماعة أخرى غيرها جعلت من التعري مذهبًا اجتماعيًا عامًا بهذا الاتساع والوضوح، حين رأت في خلع الملابس عودةً إلى الطبيعة، وتحرّرًا من قيود المدينة والصناعة والأخلاق الفيكتورية الخانقة، ثم انتهى بها المسار الفظيع إلى تحويل الملاعب والشواطئ والأندية إلى ساحات مكتظة بأجساد عارية، كما ولدتهم أمهاتهم، رجالًا ونساءً، دون أن يفضي ذلك

إلى وعيٍ أخلاقي أرقى، أو حسٍّ إنساني أعمق، بل إلى نمط آخر من العبث المستتر بخطاب تحرّري!

لا أدري هل يقصد صاحبنا بهذا العرض العاري إحداث تلك الهزّة البصرية المقصودة وجذب الأنظار بأي وسيلة كانت، أم أنه ـ على طريقة جماعة Fkk ـ يحاول ابتداع مذهب اجتماعي جديد في حدود الخطابات والمنصّات، غير أنّ السؤال الأشد إلحاحًا، والذي يفرض نفسه على هذا المشهد كلّه: إذا خطب رجل أو امرأة خطابًا سياسيًا أو اجتماعيًا، ثم انكشفت عورة الرجل أو عورة المرأة أيضاً أثناء إلقاء الخطاب، هل يدل ذلك على جسامة القضية المطروحة وخطورة اللحظة التاريخية، أم يدلّ على ان السقوط في الفوضى الجسدية صار بديلًا للخطاب العقلاني.

نعم، لا أحد يتمنى استمرار الحرب، وكلنا نترحم على الشهداء الذين سقطوا فيها، لكن ثمّة حدًّا دقيقًا لا يجوز تجاوزه بين الحرية والفوضى، وكان بوسع صاحبنا،أن يقول ما يريد، وأن يحتج على من يريد، أما أن يقرر فجأة أن يخلع ثيابه على المسرح ليضمن التفات العيون بوصفه أداة احتجاج، فذلك في تقديري ليس جرأة، بل اعتراف صريح بالعجز عن إنتاج خطاب، وربما لا يبقى في الذاكرة سوى ابتسامة ساخرة تقول: حين تخذل اللغة أصحابها، يختصرون الطريق.. إلى خلع الملابس.

_ أشاهد بين الفينة والأخرى ما تيسّر من البرامج الترفيهية المتداولة في وسائل الإعلام، وقد هالني وأفزعني، ما جرى في إحدى قاعات المدارس، حين تحوّل الفصل الدراسي، الذي يفترض فيه أن يكون محرابًا للعلم، وفضاءً للتربية، إلى مسرح عبثي يستعرض فيه طالب مراهق، نزقه الجسدي أمام معلمه، لا ليقول فكرة، أو يجيب على سؤال، بل ليبدأ رقصة هز الكتفين، ويهز كتفيه هزًّا سريعًا مستفزًا أمام معلمه وزملائه.

وقد يقول قائل هنا: وماذا في هذا؟ أليست هذه مجرد حركة صبيانية؟ أليس الشباب اليوم أكثر جرأة، وأكثر تحررًا؟ بل ماذا تكون هذه الرقصة الهوجاء إذا ما قورنت بما تمتلئ به الشاشات والمنصات والمسارح من مشاهد أشد فجاجة، وأقسى على الذوق العام، وأبعد عن كل معيار سليم؟ ولمثل هذا القائل أقول: هناك فارق شاسع، لا يراه إلا من لا يزال يحتفظ بحد أدنى من الحس التربوي، بين سلوك فردي عابر في شارع أو فضاء مفتوح، وبين ما يقع داخل مؤسسة تعليمية يُفترض أنها الحاضنة الأولى للقيم والانضباط والتربية.

فالمدرسة ليست نادٍ ليلي، ولا ساحة استعراض، ولا منصة لإفراغ الشحنات النفسية، بل هي مؤسسة ممولة من المجتمع، قائمة على الثقة العامة، ومؤتمنة على أخطر ما تملكه الأمة:

عقول أبنائها وضمائرهم. ومن واجبها بل من جوهر رسالتها أن تحافظ على ما استقر في وجدان الناس من قيم الاحترام، ومكانة المعلم، وهيبة العلم، وإلا تحولت إلى مجرد مبنى فارغ تدار فيه الفوضى باسم الحرية.

هل رأيتم مؤسسة تعليمية محترمة في العالم تسمح لطالب بأن يهين معلمه علنًا بالرقص أمامه، ثم تمر الحادثة كأن شيئًا لم يكن؟ لاحظ أننا هنا لا نتحدث عن مجتمعات تقليدية مغلقة، بل عن أعرق المؤسسات التربوية في أكثر المجتمعات انفتاحًا، ومع ذلك فإنها لا تُبدي أدنى قدرٍ من التسامح، ولا تسمح ولو بمسافة تكاد لا تُرى، بأي عبثٍ يمسّ مكانة المعلّم أو يجرح النظام الأخلاقي داخلها.

ورغم ان الطالب الذي أدى رقصة الكتفين الغريبة ظهر بعد ذلك في فيديو قصير، معتذرًا للناس الذين شاهدوا المشهد، وللذين طالبوا بجلده عشر جلدات، وللذين طالبوا بفصله من المدرسة وهم الاغلبية، فإن ما جرى ليس شأنا تربويًا عابرًا،بل مؤشرا فادحا على تآكل منظومة كاملة.ولهذا فإنني أناشد من بيده سلطة القرار التربوي، أن يتعامل مع هذه الواقعة بما تستحقه من حزم وحكمة، حماية للمؤسسات التعليمية والتربوية، ورد اعتبار للمعلم، الذي هو عنوان للهيبة والتربية، وهو الذي قال الشاعر أحمد شوقي في حقه:

قم للمعلم وفه التبجيلا

كاد المعلم أن يكون رسولا

_ من أشدّ المشاهد إيلامًا في الأيام الأخيرة أن يرى الإنسان طبيبًا ـ وهو المفترض ان يكون ملاك الرحمة وسكينة الخائفين ـ ينهال ضربًا على مريضٍ مُنهكٍ في سريره داخل مستشفى حكومي في الهند، في لحظة لا تكشف عن انفعالٍ عابر، بل عن سقوطٍ أخلاقي مكتمل الأركان، في المكان الذي لا يُسمح فيه بالسقوط أصلًا. فالمسألة هنا ليست جسدًا ضُرب واشبع لكما، بل وعدًا أخلاقيًا انكسر، لأن الطبيب لا يداوي بالأدوية وحدها، بل يداوي بحضوره وبثقة الناس فيه، وبالطمأنينة التي يُفترض أن تسبق الدواء.

وحين تستبدل الرحمة والابتسامة باللكمات الموجعة داخل غرفة الاستشفاء، فإنه لا تُجرح الأجساد وحدها، بل تُجرح فكرة الطب ذاتها، وتُصاب الثقة الإنسانية في مقتل، إذ لا شفاء باللكمات أو ضربات الرأس.

وقد قال زهير بن أبي سُلمى قديمًا، وكأنه يصف هذا المشهد بعينه:

ومن يصنعِ المعروفَ في غيرِ أهلِهِ
يلاقِ الذي لاقى مجيرَ أُمِّ عامرِ
وقال طرفة بن العبد، قبله:
وظلمُ ذوي القُربى أشدُّ مضاضةً
على المرءِ من وَقعِ الحُسامِ المُهنَّدِ

تسابيح والرجل ذو العباءة: سرد التناقض الفج

حينما سمعت أخبار ما جرى في ذلك اليوم، على منبر بيت من بيوت الله بعد صلاة الفجر، هممت أكثر من مرة أن أكتب عنها متعجبًا متأملا ومستنكرًا في الوقت ذاته ،ومتحسّسًا لكل تفصيل كما لو كان كل كلمة وجملة قابلة للتفسير على نحو غير متوقع، فالأمر بدا للوهلة الأولى غريبًا جدًا، إذ كيف يمكن لرجل يلبس عباءة الوقار، ويعتلي المنبر بعد صلاة الفجر، أن يقول كلامًا يدل على خطل في التفكير وطمس في البصيرة؟ كيف يمكن لرجل ان يطلب امرأة للزواج وهي متزوجة وفي عصمة رجل آخر، أليس هذا غريبًا وصادمًا؟ وداعيًا للشك في عقل الرجل الذي يطلب شريعة البغال والحمير والبعران؟!

لقد حاولت أن أستسلم للدهشة وحدها، لكن التفاصيل لم تترك لي هذا الخيار، فالرجل لم يقل كلامه في السر، ولا في زاوية منعزلة، بل على الملأ، أمام جموع من مصلين لم يتوقعوا أن يتحول بيت الله إلى مسرح لتناقضات بشرية عابرة للزمان والمكان، كما لو أن المنبر أصبح منصة لتجاوز كل القواعد، وكأن الشريعة نفسها تتجمد أمام عجائب هذا الرجل.

والأدهى أن الطلب الذي صدر عنه لم يكن عاديًا بأي معنى، فالرجل تحدث عن رغبة مستحيلة، وهي طلب زواج من امرأة متزوجة اصلا، اظن ان طلبه لم يكن مبنيًا على إعجاب عابر، ولا على إعجاب فقط بعيون "تسابيح" وجمالها ، بل على إدراك خاطئ للقوة والسلطة، ، ليس هذا وحسب بل أنه يتوجه بطلبه أمام المصلين إلى "حميدتي" الذي تواترت الروايات سلفا بمقتله أول ايام حرب الكرامة، التي تفجرت في منتصف ابريل من عام 2023 ضد الجنجويد والمرتزقة أو تتار القرن الواحد والعشرين.. طلب لم يكن في سياق المنطق أو الواقع، وغريب أكثر أن الإعلان عن هذا الطلب جاء بعد صلاة الفجر، وقت يظل فيه العقل أكثر صفاءً، والوجوه أكثر خشوعًا، والقلوب في أرقى درجات التواضع والخشوع والتأمل، هل تبدلت الشرائع ايضا عند الجنجويد والمرتزقة فيطلب من شاء من تشتهيه نفسه من النساء حتى وان كانت متزوجة !

من المثير للاهتمام أن كثيرين من الناس ما زالوا يعتقدون في أعماقهم أن الأمر ربما كان مجرد خطأ في التعبير، أو سوء فهم، أو رغبة في المجازفة بالكلمات لإحداث ضجة. غير أن هذا الاعتقاد لم يكن كافيًا بالنسبة لي، إذ كان يلزمني أن أرى كل التفاصيل.. كيف تأنى لهذا الرجل أن يخلط بين المنبر والاخلاق والرغبات خلطا شنيعا ، وبين القداسة والطهر، والرغبة الشخصية المتمثلة في"تسابيح" المتزوجة؟

وقد هممت أكثر من مرة أن أكتب عن ذلك كله، متعاطفًا مع الضحية الرمزية لهذا الحدث ، لولا خاطر معين كان يفرض نفسه على ذهني ويحول بيني وبين الانفعال المباشر: ماذا لو كان ما قيل صحيحًا؟ وماذا لو كان الرجل قد صرح بهذا الكلام بالفعل، لكن قصد منه اختبار قدرة الناس على الصمت والتجاوز، ثم ما يمنع ان يكون الأمر برمته مفتعلا ومحسوبا بين الرجل و" تسابيح" نفسها، والجهات الداعمة لميليشيات الدعم السريع، بغرض إلهاء السوانيين، بل إلهاء العالم اجمع عن الفظائع وجرائم الابادة التي ارتكبتها ميليشيات الدعم السريع والمرتزقة ؟ في وقت تنامى فيه، وثبت بالفعل، الاتهام المباشر لنظام الامارات وضلوعه في مخطط الحرب على السودان، بعد ان كشفت التقارير والفيديوهات الصحيحة، الجرائم والأهوال التي تعرض لها السودانيين بدعم وتمويل النظام الاماراتي.

بالنسبة لي، الاحتمال قائم دائمًا سواء كان الحدث كما يُروى أو تفسيره مختلف، بل إنه جزء من قناعاتي الأساسية أن هناك دائمًا احتمالا لأن تكون الأحداث كما هي، أو أن تكون على الأرجح مسرحية ومؤامرة مدبرة. وقد قوى هذا الاحتمال أكثر بعد أن راجعت تفاصيل الحدث: إعلان الكلام على الملأ، تحديد الوقت (بعد صلاة الفجر)، وضوح وطبيعة الطلب، وجود "تسابيح" في موقع محدد، توجه بالطلب رأسا ل-" حميدتي"

الميت او الحي حسب المعسكر الذي أنت فيه، كل ذلك جعل من الصعب تجاهل الواقعة أو الاكتفاء بالدهشة العابرة، ومع ذلك، ما زالت الحاجة قائمة لمراجعة التفاصيل كاملة، ولم يقتصر المشهد على ذلك، بل صمت الحضور، بعضهم من الدهشة، وبعضهم من الحيرة، هذا الصمت، بحد ذاته، يجعل الموقف أكثر سخرية، إذ تصبح المفارقة بين ما يُعلّم على المنبر وما يُمارس على الأرض واضحة أكثر من أي وقت مضى. فالرجل يعظ بالفضيلة، ويعلن في الوقت ذاته رغبة تتناقض مع كل تعاليم الدين الحنيف.

يبقى بعد ذلك سؤالان: الأول لماذا يصرّ على إعلان مثل هذا الطلب في وقت ومكان مقدسين؟ والثاني هو: كيف يمكن للإنسان أن ينسى كل قواعد العقل والدين والوجود في لحظة، ويظن أن المنبر يمنحه الحق في تجاوز كل الحدود؟ أرجئ الإجابة على السؤالين لحين إعادة تقييم كل الوقائع والمعطيات، وفحص كل التفاصيل الدقيقة، ولكل حادثة سياقها وتداعياتها وتحليلها.

عن طبائع النفس ومقاصد النص

حين أعود بذاكرتي إلى شهور طويلة، لا أعرف على الحقيقة عددها، ولا متى بدأت بالضبط، أجدني قد دخلتُ اختيارا في معركة صغيرة مع نفسي.. لم تكن تلك المعركة ذات صوت ولا هيجة، لكنها كانت ملموسة بما يكفي لأدرك أنّ شيئاً في داخلي كان يعيد ترتيب نفسه كلّ يوم، أو بالأحرى كلما استلقيت على فراشي، فقد امتنعت، وبإصرار لا يخلو من شيء من المجاهدة، عن تلك العادة والطبع الذي الفته دون وعي، حتى غدا جزءا مني وانا لا اشعر، وهو أن أضع رجلاً فوق أخرى وأنا مستلقٍ على ظهري! وكلما تنبّهتُ إلى هيئتي، أصلحتها، وأنزلت إحداهما عن الأخرى، في هدوءٍ لا يخلو من قدر من الحرج.

لم يكن هذا السلوك الجديد الذي فرضته على نفسي وسوسة عارضة، او هاجسا نفسيا، بل كان استجابة مباشرة لما وقفت عليه مصادفة قبل شهور في أحد كتب السنة وهو النهيٌ عن

هذه الهيئة في الاستلقاء، فقد ثبت في سنن الترمذي النهي عن الاستلقاء على الظهر رافعاً إحدى الرجلين على الأخرى، في رواية جابر بن عبدالله: " إذا استلقى أحدكم علَى ظهره فلا يضع إحدى رجليه على الأخرى".

والحق أني طوال تلك الشهور كنت ابحث في داخلي عن الحكمة الكامنة وراء هذا النهي في هذه الطبائع، إذ لم يكن في قلبي شكّ بأن النقل الصحيح لا يصادم العقل الصريح اطلاقا، ومع ذلك واصلت الامتثال وتطبيق تلك الهئية في حياتي، وكنت أحمد الله أن وفّقني لاتباع ما وصلني من هدي رسوله الكريم، حتى وإن لم أُدرِك وجه الحكمة فيه، فليس كل امتثال وانقياد مشروطاً بفهم، بل إن في الطاعة والاستجابة قبل الفهم معنىً يربيّ النفس على الخضوع والاذعان للحقّ ولو بقي سره مؤجلا.

ومع ذلك كان السؤالُ يلحّ علي دون أن أبلغ فيه جواباً: ما سرّ هذه الهيئة؟ وما الحكمة في أن تُخصّ دون غيرها بالتنبيه والتحذير؟ ولم يقتصر الامر على ضبط هيئتي في الاستلقاء ومنع نفسي من تلك العادة والطبع، بل تعدى ذلك أن أنصح من حولي بها.. كنت أذكر الحديث، وأدعو إلى ترك هذه الهيئة في

الاستلقاء وهي وضع احدى الساقين على الاخرى، ولم يكن في خاطري آنذاك أن المسألة قد تحمل وجهاً آخر.

غير أنّ الفضول العلمي ونهم البحث، ذلك الهاجس الذي لا يهدأ في الصدور مهما تدثّر باليقين والمعرفة، دفعني اليوم، إلى إعادة النظر على نحو أكثر جدية، فقد أردت أن أعرف ما إذا كان النهي مطلقاً أم معلّقاً بعلة، وهل ثمة نصّ آخر يفتح باباً لفهم أوسع، إذ وجدت الحديث الذي بدأت منه رحلتي ثابتاً في صحيح مسلم كذلك، لكن وجدت في صحيح البخاري حديثاً آخر، من رواية عبدالله بن زيد ، يقول: أنه رأى رسول الله ﷺ مستلقيا في المسجد، واضعا إحدى رجليه على الأخرى، وعند هذا الموضع تحديداً طفا السؤال مرة اخرى على السطح: كيف يتصالح النصّان؛ نهيٌ من جهة، وفعلٌ من جهة أخرى.

ولم يطل بي التحير حتى ظهر لي ما يزيل الغموض ويبدد عتمته، فقد قال النووي رحمه الله، إن العلماء حمّلوا أحاديث النهي على الحالة التي قد يظهر فيها شيء من العورة، أو ما يُخشى معه ذلك، بينما كان فعله صلى الله عليه وسلّم في هيئة مأمونة لا ينكشف فيها شيء. فصار النهي عندهم معلّقاً بالعلة، لا بالحركة ذاتها، وهذا توجيه يزيد الصورة اتساقاً وايضاح، ولا ينتقص من المنقول شيئاً.

وبعد فراغي من بحث المسألة عن تلك الطبائع، ادركت أن الهدي النبوي لا يُقرأ بالعين وحدها، بل بالبصيرة التي ترى المقصد قبل الحركة. فالنهي ليس عن الوضع ذاته، بل عن ما قد يؤدي إليه من كشفٍ أو تهاون، وحين تتبدد العلة، يتبدد الحكم، ويبقى الفعل في دائرة المباح، وهكذا انتهى بي الأمر إلى ما هو أبعد من هيئة في الاستلقاء، وأعمق من حركة ساق فوق ساق، انتهى بي إلى تلك الحقيقة الراسخة، أنّ النصوص لا تتعارض، بل نحن الذين نضيق عن فهم اتساعها وفهم معانيها، وأن العقل، مهما بدا متحفّزًا للاعتراض، ينحني في النهاية أمام حكمة لا تُدرك من الوهلة الأولى، بل تُستجلى حين يتواضع الإنسان للبحث والسؤال.

ريبيكا كوانغ.. حين تنتصر الكاتبة للنص قبل المنصّة

لم يكن اعلان "ريبيكا. إف. كوانغ" مجرّد انسحاب من مهرجان أدبي في مدينة تتباهى بقوتها الناعمة، بل كان إعادة تعريف قوية لدور الكاتب حين تتحوّل الكلمة عنده من فعل جمالي مؤثر، إلى موقف أخلاقي وإنساني أكثر تأثيرا، فقد أعلنت الروائية الأميركية ذات الأصول الصينية، تخلّيها عن المشاركة في مهرجان طيران الإمارات للآداب، المقرر عقده في يناير/ كانون الثاني المقبل؛ تقيدا بالاطار الاخلاقي الذي رسمته حركة المقاطعة وسحب الاستثمارات وفرض العقوبات (BDS) ، احتجاجاً على ما عدّته الحركة، بل كل ذي ضمير حي، وكل من يتسم بوعي اخلاقي، تورّطاً إماراتياً مباشراً في الابادة الجماعية المفزعة المتواصلة على التراب السوداني، التي تتصدرها ميليشيات الدعم السريع المتمردة الارهابية.

لقد تلقّت دعوة المشاركة، رتّبت جدولها، وتهيّأت للسفر. لكن ما إن صدرت دعوة المقاطعة من حركة(BDS) بعد

الاتهامات الموجّهة للإمارات بشأن تسليح ميليشيات الدعم السريع الارهابية، حتى توقّفت الكاتبة، وأعادت النظر، واتخذت قرارًا أقلّ ما يُقال عنه إنه قرار «لا يفعله إلا من يملك بصيرة النص قبل رغبة الظهور».

الكاتبة "ريبيكا إف. كوانغ" التي صنعت لنفسها مكانة صلبة عبر «حرب الخشخاش» و«بابل» و«الوجه الأصفر»، لم تتردّد أو ترمش لها عين، في أن تنقل المعركة من صفحات الكتب إلى واقعٍ ينزف. كتبت للمنظمين رسالة مقتضبة وحاسمة: لم تعد قادرة على السفر إلى دبي. القرار ليس مزاجاً، بل امتثالٌ كما قالت للتوجيه الأخلاقي القادم من الضحايا أنفسهم، واحترامٌ لطبيعة المقاطعة، بوصفها فعلاً تضامنياً و "استجابة للأحداث الجارية في السودان".

وعندما كتبت للمنظمين: لن أسافر إلى دبي. لم يكن ذلك لأسباب فنية، ولا لضيق الوقت، لم تنسحب لأن جدولها مزدحم، أو لأن الدعوة لم تعجبها، بل لسبب واحد: أنّ المهرجان أصبح رغماً عنه جزءاً من مشهد تُلطّخه السياسات الوضيعة لبلد يملك برجاً بطول السماء.. ولا يملك ذرة حياء وهو يمدّ السلاح لميليشيا إرهابية تحاصر المدن ، وتدفن الأطفال والأبرياء تحت الركام.

ما يستوقف النظر حقا فيما اتصور ليس الانسحاب في ذاته، بل توقيته: كاتبة في ذروة مجدها، حاصلة على جوائز نيبولا وبلاكويل وكروفورد وغيرها، روائية في الثالثة والعشرين حين اجتاحت الأسواق ب-«حرب الخشخاش» التي كتبتها بعد سنة من العمل في الصين. وروائية تصدّرت «نيويورك تايمز»، وتتصدر قوائم الأكثر مبيعاً، تقف لتقول: «لن أكون جزءاً من مشهد ثقافي ملوّث بالدم». هذا النوع من القرارات لا يصدر إلا من كاتب يدرك أنّ الكتابة ليست حرفة، بل مسؤولية. وأنّ النص الذي لا تُسانده الأخلاق الكريمة يتحوّل إلى مجرد زينة لغوية ومحض هراء.

ولم يكن بيانها مجرّد اعتذار بروتوكولي تقدمت به، فقد طلبت "ريبيكا إف. كوانغ" حذف اسمها من كل البرامج والمواد الترويجية، لم تهاجم، لم تزايد، ولم تُصدر بياناً مفرطاً في الانفعال.أغلقت الباب بهدوء، وتركت خلفها ضوءاً كاشفاً: أنّ الإمارات التي تُنفق الملايين على المهرجانات، لا تستطيع شراء ضمير كاتبة واحدة. وكانت كوانغ بذلك تعيد تعريف دور الكاتب حين تصبح الكتابة امتداداً للضمير الإنساني، لا امتداداً لسجاد الاستقبال الأحمر، وتكشف في الوقت ذاته عن هشاشة البنية الأخلاقية للمشهد الثقافي: مسارح فخمة وضمير غائب.

هذا الموقف البطولي، يأتي في لحظة هي الأكثر دموية في السودان منذ اندلاع الحرب بين قوات الجيش الحكومية

وميليشيات الدعم السريع الارهابية المتمردة. حرب دفع ثمنها السودا؟ نيين الأبرياء، وأنتجت أكبر موجة نزوح وجوع يشهدها العالم، وفق تقديرات المنظمات الإنسانية، اتهامات الأمم المتحدة للإمارات بتسليح الميليشيا لم تعد مجرّد كلام صحافي؛ بل باتت جزءاً من ملف رفِع إلى محكمة العدل الدولية. كل ذلك كان كافياً ليدفع حركة المقاطعة إلى توسيع نطاقها ليشمل الإمارات، ما جعل قرار "ريبيكا. إف. كوانغ" جزءاً من موجة لا يمكن تجاهلها.

ريبيكا، التي بنت فضاءات روائية تتقاطع مع التاريخ الصيني الدموي، كانت تعرف بالخبرة السردية أن الحروب لا تقوم بذاتها، بل تحتاج إلى رعاة. والرعاة، في حالة السودان، ليسوا مجهولين. الاتهامات الأممية، التقارير الغربية، الملفات المرفوعة إلى محكمة العدل الدولية كلّها تشير إلى جهة واحدة تُرسل السلاح وتُرسل معه تبريرات جاهزة عن «الاستقرار» و«التوازن الإقليمي».

ولأن كوانغ هي من قدّمت «بابل» بوصفها عملاً روائياً عن السلطة والعنف وعلاقات القوة ، فقد بدت هنا وكأنها تُطبّق الدرس نفسه خارج صفحات الرواية: حين يتحوّل العنف إلى بنية سياسية متجدّدة، ويغدو ابن زايد المثال الفجّ لِمَن يُعيد إنتاج القوّة بوصفها حقاً إلهياً، ويحوّل ميليشيا الدعم السريع الارهابية إلى أدوات يحركها ويمولها ويدعمها بالأوباش والسلاح،

والدعم اللوجستي، يصبح على الكاتب أن يختار: إمّا أن يقف على رصيف المهرجانات، أو يقف في صفّ البشر الذين يُسحقون تحت هذا التحالف السام بين مشروع هيمنة، وميليشيا لا تجيد إلا الفوضى والتطهير العرقي.

إنّ ما فعلته كوانغ يُعيدنا إلى جوهر الفعل الأدبي: أن يقف الكاتب في المنطقة التي يختبر فيها ضميره، لا تلك التي تُصفّق فيها للجوائز. وأن يضع قدميه ولو مرة في صفّ الشعوب حين تُسحق بأيدي من يملك السلاح ويملك المنصّات معاً.

الإمارات قد تنجح في شراء الولاءات السياسية، لكنها فشلت فشلا ذريعا أمام كاتبة عمرها تسعة وعشرون عاماً، لأنها ببساطة لا تباع، وكوانغ لم تنتصر للسودان بوصفه «قضية سياسية» وحسب، بل بوصفه امتحانًا للضمير الكتابي. فثمة أعمال تُكتب بالحبر، وثمة أعمال تُكتب بالموقف،وكان موقفها واعلانها واضحا: هذا المشهد الثقافي ملوّث، وهذه الإمارات ليست بريئة.

الإنسانية قبل البروتوكول: دروس من جامعة ميريلاند

نادراً ما تقع حادثة عادية ضمن أحداث اليوم، فتتجاوز سياقها اليومي لتتحول إلى علامةٍ أخلاقية فارقة، لا يمكن تجاهلها أو التعامل معها بوصفها حدثا هامشيا.. قرار جمعية الحكومة الطلابية في جامعة ميريلاند الأمريكية الصادر الأسبوع الماضي، كان واحداً من تلك اللحظات النادرة، التي يتوقف عندها الزمن، لا لأن الحدث جلل وكبير في ظاهره، بل لأن ما انطوى عليه من سؤالٍ أخلاقي وإنساني، أعاد طرح العلاقة بين الجامعة وقيمها ومبادئها المعلنة، وذكّر في اللحظة ذاتها، بأن صدق المؤسسات والمعاهد العلمية، لا يُقاس بالشعارات، بل يُمتحن حين تُوضَع القيم والمثل في مواجهة المصالح والبروتوكولات.

لم يكن القرار فعلاً طلابياً تقليدياً أو حدثاً عابراً، من أحداث النشاط الطلابى الذى يألفه الحرم الجامعى في جامعة ميريلاند كل يوم، بل جاء أقرب إلى لحظة مكاشفة داخلية، أراد فيها الطلاب أن يختبروا اتساق مؤسستهم مع القيم التى تعلنها، كشفت عن تلك الطبقة العميقة من الوعى التى تُولد عادةً فى

الجامعات الكبرى، حين تشعر النخبة الطلابية بأن ثمة واجباً أخلاقياً وإنسانيا يتجاوز حدود قاعات الدرس ومعامل البحث العلمي.

القرار كان دعوة صريحة تطالب ادارة الجامعة بإنهاء برامجها التعليمية فى دولة الإمارات العربية المتحدة، استناداً إلى ما نشرته جهات دولية معتبرة، من تقارير تشير إلى دعم إماراتى متصل لميليشيات الدعم السريع الارهابية المتمردة التي ارتكبت إبادة جماعية وتطهيرا عرقيا في السودان، وما نتج عن ذلك من انتهاكات وفظائع لا تزال تُلقي بظلالها الثقيلة على الجسد السوداني والمجتمع بأسره.

وبرغم أن البرنامج الأكاديمي الوحيد المرتبط بالإمارات يقتصر على مساق محدود في مجال الأعمال والإدارة، يُقدَّم في أبوظبي تحت عنوان: «التسويق والتصميم والابتكار فى الشرق الأوسط». برنامج محدود فى حجمه، لكنه جاء فى لحظة تاريخية، جعلت من تفاصيله الصغيرة جزءاً من سؤال أكبر: إلى أى مدى ينبغى لمؤسسة أكاديمية مرموقة، أن تظل مرتبطة بدولة تُوجَّه إليها اتهامات موثقة بدعم طرف متورط فى واحدة من أكثر الحروب مأساوية وبشاعة فى تاريخ السودان الحديث، فالقرار الطلابي انطلق من وعي عميق بأن العلاقات الأكاديمية، مهما بدت محايدة أو تقنية، مشدودة دائماً إلى سياقها السياسي والأخلاقي، وان الجامعات الكبرى لا تُقاس بما تمنحه

من شهادات ودرجات علمية وحسب، بل بما تحرص على ألا تتورط فيه من صمت، أو قبول ضمني بواقع ينطوي على ظلمٍ فادح.

القرار استند أيضاً إلى شهادات طلاب سودانيين، وهي شهادات لم تأتِ على هيئة خطاب عاطفي، بل كوقائع إنسانية مباشرة: قتل للأبرياء، عائلات تمزقت، أقارب فُقدوا، مدن أُفرغت من سكانها، ودولة تُنتهك سيادتها تحت وطأة الحرب . هذه الشهادات لم تُستخدم كأداة استدرار تعاطف، بل بوصفها تذكيراً بأن ما يُناقَش في أروقة الجامعة ليس مسألة نظرية، بل مأساة واقعة وحادثة، لها وجوه وأسماء وتواريخ.

رئيسة رابطة الطلاب السودانيين في جامعة ميريلاند، رأت في القرار خطوة مهمة على طريق إدخال المسألة السودانية إلى مجال الرؤية داخل الولايات المتحدة، وربطها بمسؤولية الفاعلين الدوليين عن استمرار الحرب. فبالنسبة لهؤلاء الطلاب، لا تنتهي المأساة عند حدود الجغرافيا، ولا يمكن فصل حياتهم الأكاديمية اليومية عن ما يحدث لأسرهم في الداخل السوداني، ومن هذا المنظور، يصبح موقف جامعة بحجم ميريلاند رسالة ذات دلالة، حتى لو لم تترجم فوراً إلى سياسة تنفيذية.

نائبة رئيس الجمعية التنفيذية أكدت أن أهمية القرار لا تكمن في أثره الإجرائي المباشر، إذ إنه لا يلزم إدارة الجامعة قانونياً، بل في كونه يسلط الضوء على سؤال طال تجاهله: كيف ينبغي للمؤسسات التعليمية أن تتصرف حين تُواجَه باتهامات موثقة تطال شركاءها الدوليين؟ فالمؤسسات، شأنها شأن الأفراد، لا تُختبر حقيقتها في أوقات السهولة، بل في اللحظات التي تتقاطع فيها القيم مع المصالح.

ومع هذا، كان بيان الجامعة لصحيفة «ذا دايمندباك» واضحاً: قرارات جمعية الحكومة الطلابية تعكس رأي طلابها، ولا تلزم الإدارة بأي تغيير في سياساتها أو علاقاتها الأكاديمية. ومن ثم، فإنه لا يزال الحديث عن قطع العلاقات الأكاديمية بين جامعة ميريلاند والإمارات سابقاً لأوانه، إذ لا يستند حتى الآن إلى معطيات واقعية واضحة.

غير أن ما يستحق التوقف عنده ليس حدود قرار رابطة طلاب جامعة ميريلاند الأميركية بقدر ما هو دلالته الأخلاقية العميقة، فالجامعات الأمريكية الكبرى، منذ عقود، تمثل منارات للضمير الأخلاقي العام، لا تفسدها الحسابات الصغيرة، ولا تُخيفها السلطة السياسية أو الاقتصادية. وبهذا المعنى، فإن القرار الطلابي يمثل دلالة على وعى متقدم لدى نخبة من الطلاب يدركون ثقل المأساة وواجب الكلمة، حتى لو لم يحرّك سياسة الجامعة فوراً، ويكشف عن وجود ضمير طلابي يقظ، يشعر

بأن العالم لا يُدار بالميزانيات والاتفاقيات فقط، بل بمنظومة قيم يجب مراعاتها، ولا يمكن تجاهلها دون أن يدفع الجميع ثمناً أفدح بكثير.

مهما يكن الامر، إذا اختارت إدارة الجامعة فى أى وقت مراجعة علاقاتها استجابةً لهذه المخاوف، فلن يكون ذلك مجرد انتصار للطلاب، بل سيكون في تقديري، لحظة تستعيد فيها الجامعة دورها الأخلاقى والريادي، وعمل يقدّم الإنسانية قبل السياسة، ويُعيد المؤسسة إلى موقعها الطبيعي كمنارة للقيم والمسؤولية، وحينها فقط يمكن القول إن الجامعة وضعت قيمة الإنسان فوق اعتبارات البرتوكول، وقدمت للعالم درسًا نادرًا: أن المعرفة بلا ضمير لا معنى لها، وأن المؤسسات والجامعات الكبرى، مهما كبرت، تظل مسؤولة أمام الإنسانية قبل أي اعتبار آخر.

أبو مرداع: حين يكون الصدق سيرة حياة

في هذا العالم، يختار بعض البشر الحياة بصدقها ونقائها، وحين يرحلون، يرحلون كالأشجار التي تقف شامخة في أرضها، لا تزال جذورها ممتدة، وفروعها تتحدث عن نورٍ وطمأنينة.. عبد الله بن مرداع آل عاطف القحطاني، المعروف باسم «أبو مرداع»، واحد من هؤلاء. حين رحل، رحل كأنه ترك رسالة صامتة لكل من عرفه واحبه، رسالة تقول إن الطيبة والعفوية والبراءة، ليست مجرد كلمات لا معنى لها، بل حياة كاملة يمكن أن يعيشها الإنسان، وأن يترك أثرها الخالد في الآخرين بلا ضوضاء وهرج ولا تكلف.

أبو مرداع لم يكن مجرد صانع محتوى كوميدي، بل كان إنسانًا يذكرك بأن الفطرة والجبلة الأولى التي خلق عليها البشر، هي الفطرة الطيبة، العفوية النقية. كل من تعامل معه شعر بصفاء النفس وبساطة الروح، صحيح انه لم يقدر لي أن أقابله وأتحدث اليه وجها لوجه فهو في المملكة السعودية وأنا

في السودان، لكن المحتوى الذي شاهدته واستمعت به كثيرا انا وغيري، يؤكد أنه من البشر المملوء بالبراءة والصفاء، ولم يختبئ وراء أقنعة الكذب أو التصنع، وهي براءة لم تكن ضعفًا أبداً، بل تنطوي على قوة أخلاقية هادئة، وشهادة على أن الإنسان يمكن أن يكون محبوبًا دون أن يضطر للتظاهر أو المبالغة.

في حضوره،الذي لم يقدر لي أن أراه عن قرب، كانت الضحكة صافية، نابعة من القلب، والمزحة بلا قصد، كل كلمة وكل حركة تحمل صدقًا نادرًا في زمن امتلأ بالزيف والخداع. لم يكن أحد يتوقع أن يكون الوجود الرقمي صادقًا بهذه البساطة، لكنه كان كذلك. ولم يكن حب الناس له محض صدفة، بل لأنه لم يرهق نفسه في محاولات كسب الشهرة بأي ثمن. كانت طبيعته انعكاسًا للفطرة، وابتسامته البرئية تذكيرًا واشعارا بأن السعادة والفرح لا يحتاجان إلى تزييف أو اختلاق.

رحيله في 11 ديسمبر 2025 على طريق النايلات شمال حائل، إثر حادث مأساوي أثناء تصويره محتوى جديد مع صديقيه «أبو حصة» و«دخيل»، ترك فراغًا لا يملؤه أحد. لم يكن الفراغ مجرد فقد لمؤثر مشهور، بل فقد إنسان عاش بقيمه، أعاد تذكير الناس بالبساطة والصدق . تدخلت فرق الدفاع المدني والهلال الأحمر فور الحادث، لكن القدر كان أسرع، وأخذ أبو مرداع بعيدًا عن عالمنا الحقيقي والافتراضي، تاركًا

وراءه ضحكاته، وروحه، ونقاء سريرته، ودرسًا أخلاقيًا أكبر من أي محتوى يمكن أن يُنشر على الإنترنت والوجود الرقمي.

الجمهور الذي تابعه على منصات التواصل الاجتماعي لم يحزن فقط على شخصية عامة، بل على إنسانية فقدت حضورها في عالم صار فيه التصنع والادعاء قاعدة، وصار الصدق والحقيقة استثناءً. آلاف الناس خرجوا ليشيعوه، دموعهم كانت شهادة على أن الطيبة والعفوية يمكن أن تلمس القلوب أكثر من أي خطاب رسمي أو شهرة مصطنعة. أبو مرداع ترك إرثًا وأثرا لا يُقاس بعدد المشاهدات أو المشاركات، بل بعدد القلوب التي لمسها، والروح التي أعادت تذكيرها بما كان طبيعيًا في زمن سابق: أن الإنسان يمكن أن يكون صادقًا وبسيطًا، وأن الضحكة يمكن أن تحمل البراءة، وأن الطيبة ليست ضعفًا.أظن أن رحيله سيترك سؤالًا دائمًا: هل نستطيع ، في هذا الزمن الصعب والمعقد، أن نعيش ولو جزءًا من هذه البساطة والصدق، والشفافية؟

رحيله ليس نهاية، بل استمرار للدرس الذي يتركه الإنسان حين يختار أن يعيش بطبيعته فقط، دون تصنع وزيف، دون نفاق، كل ضحكة وكل مزحة وكل ابتسامة كانت رسالة للناس: أن الخير ممكن، وأن الطيبة لا تزال حاضرة، وأن البراءة ليست خطأ.

أظهر أبو مرداع رحمه الله أن قوة الإنسان الحقيقية تكمن في كونه نفسه بلا افتعال، وأن هذه البساطة النقية كافية لتكون قدوة وتترك أثرا ظاهرا، رحل أبو مرداع، رحمه الله، لكن ضحكته، ابتسامته، براءته، وعفويته بقيت، درس لا يُنسى، حقيقة نادرة في زمن كثرت فيه الأقنعة، لتذكرنا دائمًا بأن الإنسان، حين يكون بسيطا، قد يكون كافيًا وأكثر. إنا لفراقك لمحزونون.

قليل من الطيبين.. كثير من الظالمين

سأذهب اليوم إلى مضارب البادية في زاوية قصية من زوايا التاريخ العربي القديم، لا هربا من السياسة كما قد يظن البعض، بل احتجاجا عليها؛ لأن السياسة المعاصرة (بكل استبدادها وعروضها الزائفة) لم تعد تترك أي فسحة للتنفس والاستراحة، إذ اصبحنا نعيش في زمن يلقى فيه القبض لا على اللصوص وحدهم، بل على رؤساء الدول التي يفترض أنها ذات سيادة كاملة في النظام العالمي، مثلما جرى مؤخرا في ساحة السياسة العالمية، وكما شاهد العالم بأجمعه، يساقون كما تساق الأنعام من أمام شعوبهم إلى المحاكم الدولية، بينما يقف العالم متفرجا لا يقدر على شيء، لأنه تعود أن يرى الكثير من مشاهد الظلم والطغيان، حتى صار الظلم جزءا من مشاهد الحياة السياسية.

الزاوية التي سأقف عندها هي قصيدة قديمة من درر الشعر العربي، وهي نونية عروة بن حزام أو "عروة عفراء" ، كما

يسميه رواة الشعر، واتوقع أن أجد فيها متنفسا واستراحة من هذا الزمن الكئيب الذي يتبادل فيه الأقوياء والطغاة أدوار القسوة والفظاعة دون وجل، لكن الحقيقة لم أجد ما توقعته تماماً من النهايات السعيدة، والأبيات المتوهجة بالسعادة والهناء، إذ كانت حقيقة النفس البشرية أيضا حاضرة هناك، وان اختلفت مسارح الحياة، عندما تترك القلوب النبيلة وحدها في هذا الوجود، في مواجهة عالم لا يعترف إلا بالمال والهيمنة.

عروة بن حزام بن مهاصر أحد بني خزام بن ضبة، وهو صاحب عفراء بنت عمه عقال بن مهاصر، تربى يتيما في حجر عمه، وفي ذلك الحجر نشأت معه عفراء بنت عمه، يلعبان معا ويكبران معا، حتى ألف كل منهما صاحبه ألفة شديدة، وكان عقال كلما رأى ما بينهما من المودة صفاء التعلق، يقول لعروة: أبشر، فإن عفراء أمتك ان شاء الله، وظلا كذلك _كما يروي الرواة_ حتى لحقت عفراء بالنساء ولحق عروة بالرجال.

ولما شب عروة خطب عفراء، فأمهله عمه حتى يخرج طلبا للرزق، فودعها ومضى يضرب في الأرض طلبا للرزق وابتغاء مرضاة عمه، بما سيحصل عليه من مال وفير، غير ان

عقالا لم يف بوعده فزوج ابنته من رجل آخر عظيم الحظ في المال والجاه.

ولم تطل غيبة عروة؛ إذ عاد بعد أن أصاب من المال ما ظنه كافيا، غير أن ما إن وطئت قدماه الحي حتى انهارت آماله دفعة واحدة، وتبددت أحلامه كلها، لأنه لم يجد عفراء التي من أجلها احتمل التعب والنصب ، وأحس بغدر عمه فطفق يتحدث عن ذلك الغدر، ولم تلبث حاله بعد تلك النكبة والمأساة أن تدهورت، فمرض مرضا شديدا، ومات وهو يردد شعره فيها.

وفي موته يقول النعمان بن بشير: بعثت مصدقا على بني عذرة، فانتهيت إلى أبيات، فرفع لي خباء، فقصدته، فاذا بثوب مطروح وتحته شيء يختلج، فرفعت الثوب فإذا رجل لا يظهر منه إلا رأسه، فقلت: ما بك؟ فقال:

كأن قطاة علقت بجناحها

على كبدي من شدة الخفقان

ثم تنفس حتى أمتلأ، ثم طفئ، فما برحت حتى كفنته وصليت عليه، فسألت عنه فقيل لي: هو عروة بن حزام.

ومن أبيات عروة التي تفيض ألماً وحزنا قوله:

يكلفني عمي ثمانين بكرة

ومالي يا عفراء غير ثمان

ثمان يقطعن الأزمة بالبرى

ويقطعن عرض البيد بالوخدان

فياليت عمي يوم فرق بيننا

سقي السم ممزوجا بشب يمان

بنية عمي حيل بيني وبينها

وضج لوشك الفرقة الصردان

ويصل الحزن مداه حين نبلغ البيت الذي يفيض الشاعر فيه بأمنيته الغريبة، تلك الأمنية التي لا تطلب فقط ان تجمعه الحياة مع عفراء، بل تتجاوز ذلك إلى ما هو أبعد وأقسى، اذ يتمنى(إن خانته الحياة وفرقتهما) أن يعجز الموت ذاته عن التفريق بين جسديهما، فيطلب أن يضمهما معا كفنين:

فيا ليت محيانا جميعا وليتنا

اذا نحن متنا ضمنا كفنان

ولعل شيئا من هذه الأماني الغريبة والقاسية قد تحقق بالفعل، فقد روى أبو عبدالله اليزيدي قال: مر ركب بوادي القرى يريدون البلقاء، فسألوا عن الميت، فقيل لهم عروة بن حزام، فقال بعضهم لبعض: اما والله لنأتين عفراء بما يسوؤها، فساروا

حتى اذا مروا بمنزلها مروا ليلا ، فصاح صائح بأعلى صوته فقال:

ألا أيها القصر المغفل أهله

نعينا اليكم عروة بن حزام

فسمعت عفراء الصوت ففهمته ونادت بهم، ثم سألتهم أين دفنوه، فأخبروها فسارت إلى قبره فلما قاربته ، قالت: انزلوني فاني اريد قضاء حاجة، فأنزلوها ، فأنسلت إلى القبر فاكبت عليه، فما راعهم إلا صوتها، فلما سمعوها بادروا اليها فاذا هي ممدودة على القبر قد خرجت نفسها، فدفنوها إلى جنبه في مشهد محزن، حيث تلاقيا في الموت بعد أن تعذر في الحياة والوجود، وامتدت النهاية لتصبح رمزا صامتا لتراجيديا الحب والغدر معا.

وتبلغ التراجيديا ذروتها فيما رواه صاحب مصارع العشاق(اذا صحت الرواية) حيث ذكر قول معاذ بن يحى الصنعاني: خرجت من مكة إلى صنعاء، فلما كان بيننا وبين صنعاء خمس ساعات، رأيت الناس ينزلون عن محاملهم ويركبون دوابهم، فقلت: أين تريدون؟ قالوا: نريد ان ننظر إلى قبر عفراء وعروة ، فنزلت عن محملي وركبت حماري واتصلت بهم، فانتهيت إلى قبرين متلاصقين ، قد خرج من كلا القبرين ساق شجرة

حتى إذا صارا إلى على قامة التفا، فكان الناس يقولون تآلفا في الحياة وفي الممات!

واذا صحت هذه الرواية، فنحن امام صورة صامتة، تكشف حقيقة النفس البشرية: طيبون يسحقون لأنهم طيبون، وظالمون يمضون في ظلمهم لأنهم يملكون القوة والمال والجاه، سواء كان هذا الظلم في مضارب بني عذرة، أو في مسارح السياسة المعاصرة،، ولا يبقى بعد كل هذا إلا أن نقول: هذه سيرة العالم كما هو، قليل من الطيبين وكثير من الظالمين.

الفئران في ستين داهية.. رسمياً

في الأيام الفارطة، أعلنت لجنة التقصي والتحقق حول ظاهرة نفوق الفئران بولاية الجزيرة وسط السودان، والتي كُوّنت بموجب القرار رقم (90) لسنة 2025 الصادر من والي الولاية، اعلنت أن النفوق الذي أصاب الفئران بكميات غير مسبوقة، لم يكن نتيجة أي سموم حادة أو مزمنة، أو سموم عصبية، وإنما كان نفوقا طبيعيا، وأن الأرض والماء (وفق ما انتهت اليه الفحوص والتحاليل) خاليان من أي أمراض، وأن الناس في ديارهم آمنون تماماً.

ورغم أن هذه الحقيقة المعلنة من قبل اللجنة الموقرة، التي مارست دورها وواجبها بكل أمانة وصرامة علمية مثالية، كما هو مفترض، والتي كانت رسالتها واعلانها ينطوي على بعث الاطمئنان والأمان، وازالة الشكوك من نفوس المواطنين حول اصابة الفئران بامراض مميتة وربما معدية، بعد ان شاهدوا بأم اعينهم أعدادا كبيرة منها نافقة، في مشهد لافت للنظر وداعيا

للريبة، رغم ذلك فانها لم تمنع المواطنين من التفاعل معها على نحو كشف عن أعماقهم وشيئا مما اعتمل في دواخلهم، إذ انقسم الناس وقتها، كما يحدث دائمًا في اللحظات والمواقف الكاشفة، إلى ثلاثة مسارات نفسية متباينة وربما أكثر، بحسب علاقاتهم المتراكمة مع الدولة، الذين يحبوها حبا شديدا والذين يكرهونها معا، في تفسير ومعنى ما جرى، وعن الأولويات التي تقوم أجهزة الدولة بترتيبها.

فقد انتاب قسم منهم الشعور بالخوف والفزع من هذه الظاهرة التي لا يجدون لها تفسيرا مقنعا، وتملك قسم آخر الشعور بالسخرية والاستهزاء، بينما نظرت الطائفة الأخيرة لعمل اللجنة ووصفته بانه مضيعة للوقت واهدارا للجهود في غير موضعها، واكثرهم حذرا، نظر إلى الظاهرة بعين الريبة، معتبرين أن أي نفوق متزايد للفئران، أو أيا من الهوام، لا بد أن يكون إنذارًا بوباء وشيك لا محالة، وأن الكوارث القادمة ستأتي حتما من حيث لا يشعر الناس.

القسم الأول وهم الأغلبية، فقد كان الشعور بالسخرية والاستهزاء يطغى عندهم على أي مشاعر أخرى، ليس تهوينًا من الخطر المحتمل والمتوقع، وإنما تعبيرًا تلقائيًا عن حالة الإحباط المزمن المقيم داخلهم، إذ رأوا في سرعة تشكيل اللجنة، ودقة البيان، ولهجة الاطمئنان في الخطاب الرسمي، مفارقة موجعة، إذا ما تمت مقاربتها بصمت طويل اعتادوه

إزاء موت البشر، حين يتساقط الناس في المستشفيات الحكومية نتيجة لوباء الكوليرا أو حمى الضنك التي اجتاحت ولاية الخرطوم وبعض الولايات مؤخرا. وهذا القسم هو من يقول: إن البشر يموتون كل يوم دون سبب مُعلن، ودون لجنة أو تقارير أو بيان يطمئن أحدًا، فهل صار التحقيق في نفوق الفأر على خسته وحقارته ، أهم من الإنسان؟! هل أصبحت الفئران أوفر حظًا في نيل التفسير والاهتمام؟هل بلغ بنا الامر أن يبحث المختصون وذوي الشأن عن مصدر نفوق هذه الفواسق، ويموت منا العشرات في الحرب التي تبادلنا فيها ميليشيا الدعم السريع اللعينة ، وجراء الامراض وسوء التغذية، فلتمت هذه الفواسق وتشبع موتا.

أما الطائفة الثانية وهم الذين التزموا جانب الحذر والمتشككون والمرتابون، فقد ذهبوا إلى فرضيات الدراسات التي تقول إذا حصل نفوق في الفئران بمعدلات متزايدة في منطقة معينة، فهذا يعني ان المنطقة بها وباء مقيم، ومن ثم حاججوا في نتائج اللجنة المكلفة من السيد الوالي، إذ تدعي أن الامر جد خطير وشر مستطير، فقد يكون هذا النفوق نذير طاعون قادم، بل ان كثيرًا من الكوارث والفواجع الصحية دخلت إلى حياة البشر من باب الحيوان، ، ولو حصل وانتقلت العدوى للبشر فأبشروا بوباء يكمل الناس موتا أكثر من الحرب ذاتها، وضربت مثالا لذلك بفيروس ايبولا الذي اجتاح وسط افريقيا ، حيث كانت

بدايته من الحيوانات! ومن هذا المنظور اعتبروا أن الخطابات الرسمية مهما بلغت دقة صياغتها ورصانتها، لا تملك إلغاء احتمالات الطبيعة المتقلبة ولا خيانات الواقع.

أما الطائفة الاخيرة فقد رأت أن ما جرى كله يدور من غير ترتيب للأولويات، إذ الاولويات خارج هذا الكلام الفارغ على حد قولهم، وقالت: نحن في هذه المدينة نملك مشروعًا زراعيًا تمتد مساحته إلى خمسة وأربعين ألف فدان، ما زالت خارج دائرة الزراعة حتى هذه اللحظة، منذ العودة من النزوح، وطلعت هذه الفدادين كاملة من العروة الصيفيه والعروة الشتوية، وربما تطلع من العروة الصيفيه القادمة، ولا يوجد وزير وصل الينا أو مسؤول ليعمل علي اصلاح الاعطال أو يجلس مع المزارعين ليعالجوا اساس المشكلة. هل بقيت الاولويات على نفوق الفيران التي ماتت مجهدة ومنهكة بسبب قطع المسافات الطويلة كما توصلت لجنتكم لذلك! يا أخي شوفو نفوق الانسان اولا، الناس يموتون بصمت في المستشفيات يا زول، وهؤلاء العاطلون، وهؤلاء الذين تركوا الجامعات بسبب الرسوم الباهظة. يوم واحد لم تعمل لهم لجنه تقصي .. يعملوها للفئران.؟! سبحان الله.. وأقسم بالله العظيم أنها مسخرة ومهزلة.. وحسبنا الله ونعم الوكيل.. هل بقيت على الفئران والآلاف من البشر بين نازح ولاجئ ومفقود، وانتم تقضون الوقت هنا في إدارة التفاصيل الهامشية وتتبع موت الفئران،

وتتجاهلون الأزمات المعقدة ، إن الغرض من فعلكم هذا هو إلهاء الناس وشغلهم عن قضاياهم الرئيسية، فلتمت الفئران وتهلك في ستين داهية.

إيران والشيطان الأكبر واحتمالات المواجهة

كتبت هذا المقال في يناير من عام ألفين وثلاثة وعشرين، بعنوان (هل تبدأ الحرب الشاملة على إيران حقا؟) وتركته بعد ذلك على افتراض بسيط، مفاده، ربما تقدم إسرائيل على نشاط عسكري محدود، يتمثل في توجيه ضربات ضد أهداف إستراتيجية محدودة في العمق الإيراني، لأن احتمالات النجاح في تدمير البرنامج النووي الإيراني بضربة واحدة موجعة تظل ضئيلة، وختمته إذ ذاك بفرضية تظل احتمالا راجحا.. وبالفعل فقد حدثت العمليات العسكرية المحدودة كما تابعها العالم بأجمعه في حرب ال 12يوماً، غير أني أعيد تقديمه مرة اخري للقارئ الكريم في هذه الظروف الدقيقة التي تقرع فيها طبول الحرب مرة أخرى.

في الأيام القليلة الماضية دعا البرلمان الأوروبي إلى تصنيف الحرس الثوري الإيراني منظمة إرهابية، واتهمه بقمع المتظاهرين في إيران، وإمداد روسيا بطائرات مسيرة

(المسيرات تساعد وحدات الجيش على تحديد أماكن العدو بدقة، وتحديد مواقع المدفعية، وقادرة على اختراق الدفاعات الجوية بفعالية عند إطلاقها في مجموعات، ولها المقدرة على التصوير والبث المباشر لتجمعات العدو، وتستخدم للضرورة عند حدوث نقص غير متوقع في الأسلحة الدقيقة بعيدة المدى) وطلب البرلمان من الاتحاد الأوروبي إدراج الحرس الثوري الإيراني على القائمة السوداء لـ "المنظمات الإرهابية"، بما يشمل فيلق القدس الموكل بالعمليات الخارجية، وقوات التعبئة الباسيج.

عضو البرلمان الألماني " هانا نيومان" دعت إلى معاملة الحرس الثوري الإيراني معاملة الإرهابيين: كيف يمكننا التحدث عن إحياء خطة العمل الشاملة المشتركة، إذا كان الشيء الوحيد الذي يظهر هو الاعتراف الدولي الذي يحتاجه النظام بشكل عاجل؟ لقد انتهى وقت السياسة الغامضة.. طالما استمرت الاحتجاجات الوحشية، فلا ينبغي أن نتفاوض طالما أن الحرس الثوري الإيراني يرهب شعبه والمنطقة، فيجب أن نعاملهم كإرهابيين.

وفي مقابلة الطلب البرلماني الأوروبي باعتبار الحرس الثوري وقوات الباسيج منظمات إرهابية (الباسيج مليشيا إيرانية عقائدية مسلحة ؛ تضم ملايين المتطوعين وممولة مباشرة من الدولة، وتعتبر من أكثر الكيانات تأثيرا في الحياة السياسية

والأمنية والمجتمعية في ايران، كما تعد أداة عسكرية لحماية مصالح النظام السياسية داخليا وخارجيا) في مقابلة ذلك وفي رد فعل سريع وضع نواب البرلمان الإيراني مسودة قرار، وضعوا فيها اللمسات الأخيرة على خطة عاجلة لتصنيف القوات المسلحة للدول الأعضاء في الاتحاد الأوروبي منظمات إرهابية، في حال تبني تلك الدول قرار البرلمان الأوروبي.

وفي ذات الأحداث المتلاحقة حذر وزير الخارجية القطري الأسبق "حمد بن جاسم" على منصة التواصل الاجتماعي، من عمل عسكري إسرائيلي أمريكي محتمل قد يهز الأمن والاستقرار في مِنطقة الخليج، وسيترتب عليه عواقب اقتصادية وسياسية واجتماعية، لأن الغرب بقيادة الولايات المتحدة لم يتوصل حتى الآن إلى اتفاق يعيد الاتفاق النووي مع إيران إلى الحياة: إذا لم تتوصل الأطراف إلى اتفاق نووي جديد مع إيران، وزودت الولايات المتحدة إسرائيل بما تحتاجه من سلاح سيكون هناك، لا سمح الله عمل عسكري قد يهز الأمن والاستقرار في منطقتنا وستكون له عواقب اقتصادية وسياسية واجتماعية وخيمة.

يمكن ربط هذه الأحداث المتلاحقة التي تسوغ إمكانية حدوث عمل عسكري إسرائيلي وشيك على إيران، يكون محصلته تدمير البرنامج النووي الإيراني، وتحطيم مفاصل الدولة،

وخراب كبير في المنطقة العربية، بعدة سياقات يمكن إجمالها على النحو الاتي:

أولا: تمكنت إيران من زيادة قدراتها العسكرية والنووية في كل تلك الفترة، منذ توقيعها على اتفاقية النووي 2015 ولاحقا بعد قرار إدارة "ترامب" الانسحاب منها، فقد تمكنت من مواصلة عمليات تخصيب اليورانيوم بنسب أعلى بكثير من تلك المنصوص عليها في اتفاق 2015 وتمكنت من زيادة إنتاجها ومخزونها من اليورانيوم المخصب بنسبة قد تصل إلى 60%، وهذا يفاقم من ناحية ثانية حالة الرعب والهستيريا لدى الطرف الإسرائيلي أكثر من أي طرف أخر.

ثانيا: انشغال روسيا في الحرب الأوكرانية، من شأنه أن يحيد هذا الحليف المحتمل من مساندة ايران فيما قد يلحق بها من الطرف الإسرائيلي، في ظل رغبة القادة الإيرانيين لتنفيذ سياسية الاتجاه شرقا، خاصة بعد حزمة العقوبات الغربية المفروضة على ايران وروسيا، وإلى توسيع التعاون بينهما ومجابهة الولايات المتحدة أو الشيطان الأكبر، بعد تعطل محاولات إحياء الاتفاق النووي الإيراني لخلق نوع من التوازن الاستراتيجي.

ثالثا: يعتبر هذا التوقيت توقيتا استراتيجيا مناسبا لبدء العملية العسكرية الإسرائيلية، في ظل وجود حالة الفوضى

والمظاهرات التي تجتاح إيران بعد حادثة مصرع" مهسا أميني" فالتوقيت في حالة تشتت الطرف الثاني وعدم تماسكه تماما لوجود الفوضى والقلاقل الداخلية، يعتبر توقيتا جيدا.

وقبل أن نسرد رأينا الخاص الذي يقلل من أهمية هذه السياقات فانه لابد أن نسجل بعض الملاحظات، التي تساعد على فهم الموقف المتسارع الذي دعا النواب الإيرانيين إلى مقارعة الأوربيين حجة بحجة، واعتبارا باعتبار.

أولا: تصريح الدولة العبرية بإطلاق عملية عسكرية واسعة ضد الطرف الإيراني وتدمير البرنامج النووي، يختلف عن المنهجية والاستراتيجية الإسرائيلية في العمليات العسكرية، إذ أنها تعتمد بشكل أساسي ورئيس على الضربات الاستباقية المباغتة والمفاجئة، ولا تعلن عن جاهزيتها واستعدادها العسكري للبدء في الأعمال العسكرية، كما أنها تعتمد أيضا على أساليب الاغتيالات والتصفية للعلماء والقادة.

ثانيا: تصاعد الاحتجاجات والخلافات السياسية داخل إسرائيل، وسط مخاوف من زيادة وتيرة الاحتجاجات وفي ظل الحديث والتهديد المتكرر بالنزول للشوارع وإعلان العصيان المدني والتجهيز للمواجهات، ضمن الحرب الشرسة التي تقودها المعارضة، واعتبارها أن الإصلاح القانوني الأخير الذي قام به

“نتنياهو” ليس إصلاحا، ولكنه في حقيقة الأمر انقلاب يريد به السيطرة على السلطة القضائية.

صحيح أن قيام إسرائيل بهذه العملية هي فرضية محتملة، لكن هناك قرائن مرتبطة في تقديري ربما تضعف هذه الفرضية:

أولا: انشغال الولايات المتحدة الحليف الرئيس لإسرائيل في الحرب الروسية الأوكرانية، رغم وجود ضبابية في رؤية الولايات المتحدة تجاه الملف الأوكراني، ومع وجود معارضات من الداخل الأمريكي لهذه المشاركة، التي تعتبر أن المساعدات العسكرية التي تقدمها خصما عليها، في وقت أوشكت فيه الذخائر الأوروبية والأمريكية على النفاذ جراء الحرب، من شأنه أن يجعل القرار الأمريكي معارضا لحرب جديدة لا أحد يعلم متى تنتهي.

ثانيا: تهديد الصين بغزو وشيك ل_ تايوان من شأنه أن يجعل الولايات المتحدة أيضا تتراجع عن فتح جبهة جديدة مع إيران، في وجود تقارير تفيد عدم جاهزية صناعة الأسلحة الأمريكية للتهديد الصيني المحتمل.

وفي تقديري الخاص أن إسرائيل لن تقدم على بدء حرب شاملة على إيران، وان كل ما جرى بما فيه إعلان الاتحاد الأوروبي قوات الحرس الثوري والباسيج منظمات إرهابية، ولا يستبعد بالمرة أن يكون اللوبي الإسرائيلي وراء تلك الخطوة، إنما

يصب في خانة الضغط على إيران، لتقديم تنازلات كبيرة وتخفيض نشاطها النووي، والحد من تطوير صواريخها الباليستية.

وفي ظل نظام عالمي يتسم بالفوضى واكتساب المصالح، فانه ربما تقدم إسرائيل على نشاط عسكري محدود، يتمثل في توجيه ضربات ضد أهداف استراتيجية محدودة في العمق الإيراني، لان احتمالات النجاح في تدمير البرنامج النووي الإيراني بضربة واحدة موجعة ليست مؤكدة، والأرجح أنه ربما تفرغ إسرائيل في الفترة القادمة من الانتهاء من مخطط وسيناريو تكون فيه ايران دولة معتدية، بعد قيام الأخيرة بعملية عسكرية ضخمة أو ربما ينسب لها ذلك، مما يجعل الدول الفواعل برمتها تجمع على رمي ايران الدولة المارقة كما تصفها الولايات المتحدة، عن قوس واحدة!

عن الاستبداد ومصير "ماري انطوانيت"

مصير الظالمين أو الطغاة أو المستبدين أو المفسدين مهما امتد بهم الزمن هو السقوط والنهاية الشنعاء، رغم أنهم يحتكمون للقوة المفرطة التي يستخدمونها ضد خصومهم المفترضين والمتوقعين (مع ملاحظة أن دائرة التوقع والظن والاشتباه دائما تكون أكبر عند انظمة الاستبداد والظلم والعمالة عن غيرهم من الانظمة) ورغم انهم يقاتلوا بكل أنواع القتال بما يعرفه البشر، وبما تعرفه الحيوانات، بل إنها في سبيل اجتثاث أي إحتمال للاعتراض، يمكنها التحالف المؤقت أو الدائم مع أي قوى خارجية وفواعل كبرى، ورغم أنهم يتوقعون تحقيق بسط النفوذ والهيمنة، ورجحان السيطرة للدولة والسلطان، إلا انهم في النهاية يلاقوا اقدارهم المروعة ونهايتهم الشنعاء.

وعندما يبلغ الطغيان والظلم والفساد مداه، فإن المشهد كله يكون مشروعًا قابلا للانفجار المحتوم، ويقود في نهاية الأمر

إلى عدة فرضيات وتأويلات متوقعة، من هذه الفرضيات التي تقفز إلى ذهني هو المصير الذي لاقته "ماري انطوانيت". تلك التي لم يعد يذكرها أحد.

كانت "ماري انطوانيت" في القرن الثامن عشر ملكة على فرنسا ؛ وكانت ذات شخصية كاريزمية قوية، وشديدة الفخر بأسرتها النمساوية الملكية وعائلة آل هابسبورج، غير أن هذا الفخر لم يكن مصحوباً بحدٍّ أدنى من الفهم السياسي أو الإحساس بالواقع، فقد كانت تهدر الأموال الطائلة إرضاء لميولها ونزواتها الشخصية ؛ وهذه نزعة لازمتها منذ نشأتها في فيينا ، إضافة لعلة أخرى وهي الجهل، فلم تكن تجيد اللغة الفرنسية أو الألمانية ولم يكن للثقافة أو شؤون الدولة مكانٌ في اهتماماتها، بقدر ما كان لحفلات الرقص، وإغداق الأموال على الصديقات في البلاط، بينما كانت فرنسا تغرق في أزمة مالية خانقة، وقبل أن أكمل سرد "انطوانيت" سأجيب على سؤال قد يتبادر للذهن، أو يسأله سائل: هل تلاحظ على بعض الانظمة الحاكمة الراهنة في منطقتنا أي وجه مقارنة مع سيرة "انطوانيت" ؟! ولمثل هذا السائل اقول: نعم في الظاهر لا نرى شيئا من ذلك، لكن قطعا تكون خلاعة هؤلاء الظالمين والعملاء والمفسدين، محاطة بأكبر قدر من السرية والكتمان، ولعل ما ظهر للعيان مؤخرا من الصور والفيديوهات التي تسربت من

جزيرة ابستين وتناقلتها وسائل الاعلام، ما فيه الدلالة الدامغة على قمة الفجور والخلاعة والفساد والطغيان.

كانت "انطوانيت" لا تجيد إلا اللعب والتسلية في كل مكان، وبأي شيء، وتكره بذل أي مجهود ذهني أو عملي، ولا تكمل أي شيء سواء فكرة أو محادثة أو قراءة، لذا فهي لا تحب الكتب ولا أمور الدولة وعندما طلبت الملكة وأشقاء الملك اعتقال نشطاء الطبقة الثالثة، كانت "انطوانيت" مقتنعة بأن الثورات إنما كانت مؤامرة من أطراف ثالثة، وهي التي تحرض على الكفاح لمحاربة التاج.

والأدهى من ذلك أنها ظلت طوال سني حكمها تروح وتجئ فقط بين ستة قصور: فرساي، التريانون، مارلي، فونتنبلو، سان كلو، ورامبواية.هذه القصور الستة كانت هي كل ما تعرفه عن فرنسا! أما زوجها الملك لويس السادس عشر فقد كان ضعيف الإرادة كثير التذمر، بطيء التفكير، خاملا ويغلب عليه التردد والارتباك في اتخاذ القرارات.وفقد حكمه للبلاد تدريجيا.(من المفيد هنا أن اذكر أن بعض الأنظمة الحاكمة في منطقتنا ايضا فقدت القدرة على حكم البلاد، بل أنها دون واعز من ضمير أو بقية من إنسانية وأخلاق، أو باعث ديني، سلمت أمرها بالكامل لأعداء الامة الاسلامية، فعملت على إذكاء الحروب وادارتها بالوكالة في اليمن وليبيا والسودان، واستخدمت المرتزقة الكولومبيين وسماسرة الحروب، بغرض

تقسيم هذه الدول العربية وتفتيتها، ثم إكمال أجندتها في الجزائر ومصر والمملكة السعودية، خدمة لأسيادها من الصهيونية العالمية، لنهب ثروات تلك الدول اولا، ولإضعاف الأمة الاسلامية ثانيا) وإزاء ذلك واجهت "ماري" _بثقة المستبد الأعمى_ الأمر بشجاعة وحاولت مرارا أن تقوي من إرادة الملك، لكن معارضتها القوية للتغييرات الثورية زادت من غضب الشعب عليها، ورأت العناصر التي تطالب في فرنسا بالإصلاحات والعدالة والتقدم، أن "انطوانيت" ما هي إلا مخلوقة مبذرة، خالية البال، هذه الصبيانية أبدا، ساكنة التريانون إنما تضحي بجنون وسخف بحب ورفاهية عشرين مليونا من المواطنين، بعد مضي عشر سنوات عليها في الحكم الأوتوقراطي.

كانت الضرائب تزداد ، ومستودعات المؤونة خالية في بيوت فرنسا الغنية، وفلاحوها يعيشون الفقر المدقع، والعجز المالي يزداد إلى أرقام قياسية، وخلافا للمعتاد لم يتبع لويس السادس عشر و "ماري انطوانيت" نصائح رجال الدولة المعتدلين والمخلصين الذين محضوهم النصح، وهو شيء مفترض ومتوقع منهم، لكن "انطوانيت" تآمرت فيما ترويه الروايات، للحصول على المساعدة العسكرية من حكام أوروبا، خاصة من أخيها ليوبولد الثاني ملك النمسا في ذلك الوقت، ورفضت أن تعطي أي امتيازات مطلقا للثوار.

وفي شهري يونيو ويوليو من عام 1791بدأ الوضع يتغير بطريقة درامية وعنيفة من قبل الثوار، عندما طالبت الجمعية الوطنية بحقوق أكثر من لويس السادس عشر الذي كان على العكس يحاول أن يقمع سلطة الطبقة الثالثة، وإزاء ذلك خرجت العائلة الملكية بما فيها الملك و"ماري انطوانيت" متنكرة في عربة متجهة للحدود الشرقية، بعد أن أقنعت "ماري انطوانيت" لويس السادس عشر بالفرار من باريس، لكن أحد الوطنيين المتيقظين الخلص تعرف على الملك، ليتم إيقافهما وإعادتهما إلى باريس.

ولاقت "انطوانيت" مصيرها وهو الإعدام بعد كل السنوات التي أنفقتها لا لخدمة فرنسا ولكن خدمة لرغباتها، وتحقيق مصالحها الخاصة على مصالح الأمة، وتبديد المال وإهداره، ولم تقم بواجباتها على رعاياها الذين أهلكهم الفقر والعوز، والذين أخرجهم الفقر والفاقة للمطالبة برأس (سيدة العجز المالي).أعدمت "انطوانيت" بعد أن اقتيدت في عربة خشبية إلى ساحة المقصلة. كانت "انطوانيت" تصعد إلى المقصلة بنفس الخطوات الرشيقة التي كانت تصعد بها في الماضي درجات سلالم قصر فرساي المرمرية، ثم وضعوا رأسها الصغير في المكان المخصص في المقصلة التي أطاحت برأسها.

بين الميل والوازع

حين تترك الطبائع الإنسانية دون تهذيب وتوجيه منضبط، لتفرض حضورها باسم الحرية، أوالتحرر من القيود، أو التسامح مع الطبيعة، أو أيا من المفاهيم المشابهة التي تسوغ التحرر والتحلل من الاعتبارات الاخلاقية الفاضلة، لا يكون الإنسان قد تحرر كما يتوهّم، بل يكون في الحقيقة، قد بدأ انسحابه التدريجي من مقام الضبط والعقل، إلى الفوضى والهمجية، ووصل إلى درك الطبيعة الحيوانية أو الجنون(انتهى الأمر ببعض الجماعات المنحرفة في أوروبا في اوخر القرن التاسع عشر بهذه المفاهيم الشاذة والغريبة، أن جمعتهم _رجالا ونساء _الأندية والاسواق والمنتزهات الريفية والشواطئ وهم عراة تماما، بعد أن نزعوا أو تحرروا من الملابس التي تستر عوراتهم، بحسب اقتناعهم التام بثقافة التعري الجماعي!) وبنفس القدر حينما تقهر الطبائع والنوازع والهوازع الكامنة في النفس البشرية بالعنف والقسوة يصبح الانسان أيضا في حال اقرب للجنون.

ومن صميم التكوين الإنساني في النفس البشرية ميل الرجل للأنثى، إلا أن ديننا الحنيف قد وضع لهذه الغريزة بل لسائر الطبائع والنوازع الإنسانية، موجهات وضوابط، من شأنها أن تكون رادعا فعالا لها، وإعادة بوصلتها وتوجيهها توجيها صحيحا ، ومهما اتبع الإنسان من سبل ووسائل في تهذيب النفس، وتخليصها مما يمكن أن يشوبها، ويغيرها وينقص من قدرها، حتى تصل إلى هاوية السقوط، بدلا من علوها وارتفاعها إلى درجات الصفاء والملائكية، مهما اتبع فإنه لا يجد (كما توضح التجربة البشرية، والنظر المتأني في احوال الناس قديما وحديثا) وسائل وسبلا، أفضل وأقوم من تعاليم وتوجيهات ديننا الإسلامي، فكان غض البصر عن المرأة هو أولى الخطوات الواجبة لإلزام النفس الإنسانية وتقويمها، وردع نوازع الشهوة فيها، وقطع الدواعي لها، ثم إن التماس الزواج للشباب هو أحفظ للنفس وأكمل للدين، أو الصوم عند عدم المقدرة والاستطاعة فإنه لهم وجاء.

وفي كتب التراث العربي، كتاب الحيوان تحديدا، ذكر "الجاحظ" قصة ابن المبارك الصابي، وهي على طرافتها وجزالة لغة الجاحظ، مثال جيد في ذكر النساء ومحلهن من قلوب الرجال، مهما سلك الفرد من وسائل وسبل غير التي أمر وحث عليها الشرع الحنيف، وقد كان يكفي ابن المبارك أن

يغض بصره، ويبعد عن مخالطة النساء، ويلتمس ما أمر الله به، بدلا من تعذيب النفس وتحميلها فوق طاقتها!

يقول الجاحظ: حدثني محمد بن عباد قال: سمعته يقول - وجرى ذكر النساء ومحلهن من قلوب الرجال، حتى زعموا أن الرجل كلما كان عليهن أحرص كان ذلك أدل على تمام الفحولة فيه، وكان أذهب له في الناحية التي هي في خلقته ومعناه وطبعه، إذ كان قد جعل رجلا ولم يجعل امرأة - قال ابن عباد، فقال لنا: ألستم تعلمون أني قد أربيت على المائة، فينبغي لمن كان كذلك أن يكون وهن الكبر، ونفاد الذكر، وموت الشهوة، وانقطاع ينبوع النطفة، قد أمات حنينه إلى النساء وتفكيره في الغزل؟! قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من عود نفسه تركهن مددا، وتخلى عنهن سنين ودهرا، أن تكون العادة وتمرين الطبيعة، وتوطين النفس، قد حط من ثقل منازعة الشهوة، ودواعي الباءة، وقد علمتم أن العادة التي هي الطبيعة الثانية، قد تستحكم ببعض عمد هجر لملامسة النساء. قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من لم يذق طعم الخلوة بهن ولم يجالسهن متبذلات، ولم يسمع حديثهن وخلابتهن القلوب، واستمالتهن للأهواء، ولم يرهن منكشفات عاريات، إذا تقدم له ذلك مع طول الترك، ألا يكون بقي معه من دواعيهن شيء؟! قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون لمن قد علم أنه مجبوب، وأن سببه إلى خلاطهن محسوم، أن يكون اليأس من أمتن أسبابه إلى

الزهد والسلوة، وإلى موت الخواطر. قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي أن يكون من دعاه الزهد في الدنيا، وفيما يحتويه النساء مع جمالهن وفتنة النساك بهن، واتخاذ الأنبياء لهن، إلى أن خصى نفسه، ولم يكرهه عليه أب ولا عدو، ولا سباه ساب، أن يكون مقدار ذلك الزهد هو المقدار الذى يميت الذكر لهن ويسري عنه ألم فقد وجودهن، وينبغي لمن كان في إمكانه أن ينشئ العزم ويختار الإرادة التي يصير بها إلى قطع ذلك العضو الجامع لكبار اللذات، وإلى ما فيه من الألم، ومع ما فيه من الخطر، وإلى ما فيه من المثلة والنقص الداخل على الخلقة، أن تكون الوساوس في هذا الباب لا تعروه، والدواعي لا تقروه. قال: قلنا: صدقت. قال: وينبغي لمن سخت نفسه عن السكن وعن الولد، وعن أن يكون مذكورا بالعقب الصالح، أن يكون قد نسي هذا الباب، إن كان قد مر منه على ذكر. هذا وأنتم تعلمون أني سملت عيني يوم خصيت نفسي، فقد نسيت كيفية الصور وكيف تروع، وجهلت المراد منها، وكيف تراد، أفما كان من كان كذلك حريا أن تكون نفسه ساهية لاهية مشغولة بالباب الذي أحتمل له هذه المكاره؟! قال: قلنا: صدقت. قال: أو لو لم أكن هرما، ولم يكن ها هنا طول اجتناب، وكانت الآلة قائمة أليس في أني لم أذق حيوانا منذ ثمانين سنة ولم تمتل عروقي من الشراب مخافة الزيادة في الشهوة، والنقصان من العزم ـ أليس في ذلك ما يقطع الدواعي، ويسكن الحركة إن هاجت؟!

قال: قلنا: صدقت. قال: فإني بعد جميع ما وصفت لكم، لأسمع نغمة المرأة فأظن مرة أن كبدي قد ذابت، وأظن مرة أنها قد انصدعت، وأظن مرة أن عقلي قد اختلس، وربما اضطرب فؤادي عند ضحك إحداهن، حتى أظن أنه قد خرج من فمي، فكيف ألوم عليهن غيري؟!

اللي جاهروا بالعمالة

إعجابي الراسخ بالشعر العربي، ولا سيما شعراء الجاهلية بما يحمله من صرامة في البناء، ورصانة الجرس وجزالة المفردة؛ لا يحول بين اعجابي بالاشعار العامية في عصرنا الراهن، وقد يسألني سائل هنا: كيف تجمع بين الاعجاب بالشعر العربي الجاهلي وقوة وجزالة كلماته مع الاشعار المكتوبة بالدارجة؟ كيف يجتمع تقدير القصيدة العمودية ذات البناء المحكم، مع الإعجاب بنصوص عامية تبدو للوهلة الأولى خارجة على هذا النظام؟!

ولمثل هذا السائل اقول: نعم يظل اعجابي في كلا الحالتين واحدا، لأن الذي يكتب بالعامية هو أقرب للتعبير عن مشاعره بسهولة كاملة، إذ تتيح له العامية استدعاء الكلمات المعبرة بقدر اكبر مما لو اعتمد الكتابة والنظم بأوزان الشعر العربي وقوافيه، وهو من ثم يكون أقرب إلى نبض القلب في ترجمة

غضبه أو سخريته أو مدحه أو هجائه أو أيا كان تعبيره، دون وساطة عروضية أو رقابة قافية،.. من هذه القصائد التي وقفت عليها مؤخرا واعجبتني، والتي احب أن يشاركني فيها القارئ الكريم وجوه المتعة، لأنها تتحدث عن واقعنا المعاصر في لغة ساخرة ممتعة وموجعة في آن واحد، والتي استطاع فيها شاعرنا _واسمه "عادل الهواري"_من تحويل المأساة أو المآسي المعاصرة والراهنة (وما أكثرها في منطقتنا العربية) إلى صورة ساخرة تبدو في الانطباع الأول خفيفة، لكنها مع ذلك تترك أثرًا ثقيلًا في الوعي ، إذ تمكن الشاعر من تقديم مشاهد ساخرة تتجاور فيها مفردات الفقر مع مفردات السلطة والقهر، ويختلط فيها الدم بالاحتفال، وتتحول القيم داخلها إلى شعارات رنانة جوفاء في هذا الوجود.. القصيدة تقول:

غني وارقص للزياده

اوعى تحلم بالسياده

لو نابك جنهين زياده

وطى راسك ياحماده

ليه تشيل هم الغلابه

انت عايش جوه غابه

يرموك جيفة للديابه

السكوت فيه السعاده

شفت ماتوا كام شهيد

والشباب بقيود حديد

دماءهم سالت والدنيا عيد

والقاتل منحوه شهاده

دى النطاعه بقت شعار

والفساد ماتقولش عار

ناس غجر جالهم سعار

ده الفقير واكل الزباله

حتى لبسوا من الوكاله

واللى جاهروا بالعماله

اترقوا ومسكوا القياده

ولعل أخطر ما في هذه القصيدة الممتعة والموجعة،أنها لا تسخر من واقعٍ مختلّ بقدر ما تفضح واقعًا صارت فيه الفوضى هي القاعدة لنظام اجتماعي يفقد فيه الضعيف الحماية، ويتحول فيه الصمت إلى استراتيجية بقاء، بينما يُترك السؤال

الأخلاقي والإنساني يصرخ في هذا الكون في فراغٍ لا يسمعه أحد!

أما صاحب هذه الأبيات، فمعرفتي به محدودة إلى حد يقترب من العدم، وهو أمر لا يزعجني بقدر ما يثير تأملًا أعمق حول العلاقة بين النص وكاتبه؛ إذ تبدو القصيدة هنا وكأنها تجاوزت صاحبها لتعيش حياة مستقلة، لا تحتاج إلى سيرة أو تاريخ، بقدر ما تحتاج إلى قارئ يمتلك شجاعة الاعتراف، بأن وجه المتعة في النص هو ذاته ما يؤلمه ويوجعه في الواقع..على أية حال ما أعرفه عن "عادل الهواري" هو صديق على صفحتي في موقع فيسبوك، وهو مصري الجنسية، ولم تنجح محاولاتي العديدة في معرفة المزيد عنه، لكن فرضت أبياته هذه فيما اتصور علي اولا، وعلى كل من قرأها كمية من المشاعر المتباينة واعجابا كبيرا.

فضائيتان في زمن الحرب و « زي السكر»

نادراً ما تجمعني بالقنوات الفضائية علاقة ثابتة، غير أن شهر رمضان الذي جاء هذا العام متزامنًا مع اندلاع الحرب، بما فيه من فراغات زمنية، وبما يفرضه من سكون المساءات الطويلة، يدفع المرء أحيانًا إلى الجلوس أمام الشاشة يقتل الوقت مرة، ويتابع ما يجري في العالم مرة أخرى، وهكذا وجدتني هذا العام أتنقل بين القنوات مدفوعًا بشيء من الفضول وربما القلق، وأختار فضائتين إخباريتين أتابع عبرهما تطورات هذه الحرب التي اندلعت بين الولايات المتحدة الأمريكية وإسرائيل من جهة، وإيران من جهة أخرى، وأضيف إليهما قناة ثالثة، تفرض نفسها عليّ أولاً، وربما على كل مشاهد في هذا الشهر الفضيل، وهي قناة السفرة التي تتفنن في تقديم الأطباق الشهية.

لذا قررت أن أوزع انتباهي بين القنوات الثلاث، وأن أتنقل بين ثلاث حكايات مختلفة: حكاية عن حرب قد تشعل العالم برمته، وحكاية عن حرب تُروى بطريقة أخرى، وحكاية ثالثة عن

كعك العيد الذي يبدو في لحظات كثيرة أكثر قابلية للفهم من السياسة الدولية نفسها.

أما القناة الأولى فقد بدت جادة إلى الحد الذي يجعل المشاهد يعتقد أنه يجلس في مؤتمر أكاديمي مطول عن مستقبل الشرق الأوسط، حيث كانت المذيعة الموهوبة، تناقش مع ضيفيها من خارج الحدود المخاطر الأمنية والاقتصادية التي قد تضرب الشرق الأوسط والعالم بأجمعه إذا اتسعت رقعة الحرب، متنقلة بخفة ملحوظة بين صمت روسيا وغموض الصين، واحتمالات إغلاق مضيق هرمز الذي يمر من خلاله جزء معتبر من احتياجات النفط العالمية.

غير أن ما لفت انتباهي، وربما انتباه كثير من المشاهدين، لم يكن التحليل الاستراتيجي الممتد، بل حجم شفتي المذيعة اللتين بدتا أكبر قليلاً مما اعتادته الطبيعة البشرية، الأمر الذي جعلني أرجح أن السيدة قد استعانت بتلك الحقن التجميلية التي أصبحت في زمننا هذا جزءًا من أدوات الحضور التلفزيوني! وهو أمر قد يمر بلا تعليق لو كانت الجلسة بين صديقات يتبادلن وصفات الحلوى، أو أسرار العناية بالبشرة، لكنه يبدو غريبًا حين يظهر في لحظة يناقش فيها العالم احتمال وقوع حرب كونية ثالثة.

أما أن تفاجئ هذه المذيعة المشاهدين في لحظة سياسية شديدة الحساسية بشفاه تبدو وكأنها خرجت للتو من عيادة تجميل،

فذلك يخلق التناقض الغريب المحرج، الذي لا يعرف المشاهد معه إن كان عليه أن يتابع التحليل السياسي أم أن يتأمل نتائج البوتوكس والفيلر!

لكن المفارقة الحقيقية فيما أتصور لم تكن في التحليل الاستراتيجي فحسب، بل الطريقة التي أدارت بها الحوار، وكأنها حملت على عاتقها مهمة الحلقة كلها. إذ بدت وكأنها قد قررت، بدافع الحماس العلمي ربما، أن تقوم بالمهمة كلها وحدها، فكانت تتحدث في ثلثي زمن الحلقة على الأقل، وربما ضحكت في منتصف تحليلاتها المتدفقة سخرية من تلك الدولة، أو من ذلك القائد البائس، وفجأة تتذكر أنها كانت قد طرحت سؤالًا على ضيفها منذ دقائق، فتعود إليه عودة عابرة قبل أن تنطلق مرة أخرى في تحليل جديد ومعرفة متدفقة أخرى، حتى خيل لي أن الضيفين، في لحظات كثيرة، كأنهما مجرد ديكور مهذب لبرنامج تليفزيوني قررت المذيعة أن تقدمه منفردة.

انتقلت بعد ذلك إلى القناة الفضائية الثانية، مدفوعًا بأمل بسيط في العثور على تحليل أكثر توازنًا للحرب والصواريخ الباليستية التي طالت إسرائيل، مثلما طالت دولًا عربية مثل الإمارات العربية المتحدة والبحرين والكويت والمملكة العربية السعودية، لكن الأمل لم يدم طويلًا، إذ اتضح منذ اللحظة الأولى أن الفضائية العربية المعنية قد قررت أن تنظر إلى الحرب من زاوية واحدة فقط، زاوية البيت الأبيض تحديدًا!،

حيث كانت تعيد بث تصريحات الرئيس الأمريكي ترامب الذي كان يجزم ويؤكد نهاية الحرب قريبًا، إن لم تكن قد انتهت بالفعل، مع أن لا أحدا غيره يأتي بهذا الجزم على هذا النحو!

وبينما كنت أتنقل بين هذه التحليلات الثقيلة، خطر لي أن أزور القناة الثالثة، قناة السفرة، حيث كانت السيدة "... " تقدم فقرتها المعتادة «زي السكر».

وفي هذه الحلقة الرمضانية، وقد اقترب الشهر من نهايته، كانت منشغلة تمامًا بتحضير مخبوزات العيد. وكانت تتحرك في المطبخ بنشاط فتاة في العشرين، رغم أنني أرجح أنها تجاوزت السبعين منذ زمن غير قصير، تقرأ قائمة المكونات من دقيق وسكر وسمن، ثم تخلط العجين بحيوية مدهشة، قبل أن تشكل الكعك في أشكال صغيرة بديعة، وتشرح للمشاهدين بعد أن شارفت على الانتهاء بجدية لا تقل عن جدية خبراء السياسة، أن هذه العجينة قد عملتها في أشكال صغيرة، لكن يمكن أيضًا أن تكون الأشكال كبيرة بحجم الطاسة، خاصة إذا كان الأكل مقدمًا للشارع!

وبينما كانت الفضائيات تتحدث عن الصواريخ ومضيق هرمز واحتمالات الحرب الكونية، كانت السيدة في قناة السفرة تخرج الكعك من الفرن وتسقيه بالشربات، ليصبح كما قالت مبتسمة وراضية: «زي السكر» !

عودة القوة الضاربة: السيناريوهات المحتملة

يوم الخميس 12 مارس/اذار 2026، أعلن الأسطول الخامس التابع للقيادة المركزية للقوات البحرية الأمريكية، اندلاع حريق مفاجئ على متن حاملة الطائرات "جيرالد آر. فورد" (USS Gerald R. Ford) بينما كانت تؤدي مهامها في مياه البحر الأحمر، أثناء مشاركتها في الحرب على إيران، وعادت حاملة الطائرات، إلى قاعدة بحرية في جزيرة كريت اليونانية، لإجراء الإصلاحات.

وأفاد الجيش الأمريكي بأن الحريق الذي استغرق اخماده اكثر من ثلاثين ساعة على متن الحاملة، أحدث أضراراً جسيمة بنحو مائة سرير، كما أفيد بأنها عانت من مشكلات كبيرة في نظام المراحيض أثناء وجودها في البحر، مع تقارير صحافية أميركية عن انسداد وتكوّن طوابير طويلة أمام دورات المياه.

تُعد "جيرالد آر. فورد" أحدث وأكبر حاملة طائرات في البحرية الأميركية، إذ دخلت الخدمة عام 2017، وتعمل

بالطاقة النووية، وقادرة على حمل أكثر من 75 طائرة ومروحية على متنها، إضافة إلى منظومات قتالية متطورة، مما جعلها أكبر قوة ضاربة في العالم.

وبحساب الزمن، دخلت الحاملة "فورد" شهرها العاشر على الأرجح في البحر دون توقف في الفترة الأخيرة، متجاوزة المدة الطبيعية المحددة بستة أشهر فقط، فقد اتجهت إلى الشرق الأوسط بعد مشاركتها في عملية فنزويلا، وكان من المفترض أن ترسو في فرجينيا للصيانة، لكنها عجلت للمشاركة في الحرب على إيران.

ورغم انه لا توجد شواهد حقيقية على تعرض الحاملة لاستهداف مباشر من الطرف الإيراني، إلا أن القيادة المشتركة للقوات المسلحة الإيرانية لم تتردد في التأكيد بأنّ المراكز اللوجستية والخدمية التي تمكن حاملة الطائرات الأميركية "جيرالد فورد" من البقاء في حالة تشغيلية دائمة، تُمثل أهدافاً مشروعة بالنسبة ل-إيران، مع ذلك أعلنت أن "جيرالد فورد" ربما تعرّضت لحريق متعمّد من قبل عدد من الجنود الأميركيين بسبب الخوف الذي اعترى طاقم الحاملة.

اما القيادة المركزية للجيش الأميركي، فقد ذكرت ان سبب الحريق لم يكن مرتبطاً بأي عمليات قتالية، وجرى احتواؤه، وأشارت القيادة إلى أنه لم يلحق أي ضرر بنظام الدفع، وستبقى

حاملة الطائرات جاهزة للعمل بكامل طاقتها، ورفضت الادعاءات الإيرانية، موضحة أن "الحرس الثوري لا يكتفي بترويج الأكاذيب المُعاد تدويرها، بل يُناقضها بأكاذيب أخرى".

ورغم الانسحاب اللافت لحاملة الطائرات "جيرالد آر. فورد" هذه المرة مع تصاعد شدة الحرب بين الطرفين، الولايات المتحدة الأمريكية واسرائيل ضد إيران، إلا أن هذه ليست التجربة الأولى لمثل هذا التحرك الاستراتيجي والانسحاب، فقد انسحبت "جيرالد فورد" من شرقي البحر المتوسط عام 2024رغم استمرار الحرب الإسرائيلية على قطاع غزة آنذاك، وذلك في سياق الضغط على حكومة نتنياهو وضرورة انصياعه للإرادة الأميركية،حيث تم نشر الحاملة سريعًا قرب شرق المتوسط بعد اندلاع الحرب، قبل أن تغادر بعد أسابيع قليلة، وقد تمثل جوهر مهمة الحاملة في هذا الإطار ليس في القتال المباشر، بل في أداء دور الردع وإيصال رسالة واضحة إلى إيران وحزب الله مفادها: عدم التوسع في الحرب، وفي الوقت ذاته طمأنة إسرائيل سياسيًا وعسكريًا ، وإدارة عملية التصعيد دون الانخراط المباشر في الصراع، ومن المنظور العملياتي، جاء الانسحاب بعد تحقيق الأهداف جزئيًا، إذ كانت المهمة آنذاك عبارة عن عرض قوة محدودة الزمن، وحينما استُنفدت الغايات المرجوة، تمت المغادرة.

لكن انسحاب الحاملة الأخير على نحو ما جرى، كان انسحابا غامضًا، ويطرح سيلا من الأسئلة المعقولة، إذ يتساءل المراقب: كيف يمكن أن تتعرض حاملة طائرات تعمل بالوقود النووي لحريق بهذا الحجم دون أن يكون هناك نظام مضاد للحريق يعمل تلقائيًا؟ وما طبيعة التماس الكهربائي الذي يمكن أن يشعل حريقًا هائلًا على متن هذه الحاملة العملاقة؟ كيف لأطنان من الصواريخ والطوربيدات، التي لم تؤثر فيها، أن يُهزمها تماس كهربائي بسيط؟ وربما يذهب بعضهم أبعد من ذلك ليطرح فرضية أن الحريق جاء كغطاء على إخفاق تقني أو عملي، متسائلين عن نوعية الحريق الذي يفرض على أسطورة الجيش الأمريكي الانسحاب إلى الصيانة.

ظاهريا، يمكن ان يرجع قرار سحب جيرالد وتوجيهها إلى قاعدة سودا باي في جزيرة كريت، ضرورة ملحة لإجراء الإصلاحات العاجلة لها، بعد تعرضها لحادثة الحريق، الذي أصاب مئات البحّارة باختناقات دخان، ودمّر أماكن نوم (حوالي 100 سرير على الأقل) وتسبب في ضغط تشغيلي كبير على الطاقم.

ولأن السفينة بقيت نحو تسعة شهور في مهمة مستمرة _هو رقم ضخم جدًا في عالم حاملات الطائرات_ فقد كان من

الطبيعي حدوث مشاكل متكررة (حتى في أنظمة الصرف!) وإرهاق واضح للطاقم (إنهاك التشغيل Operational Fatigue) أدى لتراجع في الجاهزية القتالية.

وعلى هذا فان سردية وفرض تعرض الحاملة لاستهداف مباشر من الجانب الايراني، أو هجوم غير معلن، يظل ضعيفا للأسباب الاتية:

أولًا: منطق العمليات (Operational Logic)

في منطق العمليات، فإن حاملة بحجم وقدرات USS Gerald R. Ford ليست هدفًا سهلًا ، لأنها محمية بطبقات دفاع متعددة، كما لديها إنذار مبكر جوي، لذا فإن أي تهديد صاروخي يُرصد قبل وصوله بمسافة كافية للاعتراض، وهو ما يعنى ان أي إصابة مباشرة ناجحة تمثل حدثا استثنائيا جدًا.

ثانيًا: معيار الدليل

لو افترضنا ان إيران نجحت في إصابة الحاملة العملاقة، فإنها كانت ستعلن ذلك فورًا، لانه يعتبر مكسبا دعائيا كبيرا بكافة المقاييس، كما أن من الطبيعي أن ترد الولايات المتحدة فورا في حرب مفتوحة، أو على الأقل ترفع مستوى التأهب علنًا.

وبمعيار الدليل أيضا، فإن صور الأقمار الصناعية ستُظهر أضرارًا هيكلية واضحة على جسم الحاملة، لكن شيئا من ذلك لم يحدث.

لذلك تعتبر هذه الفرضية غير مقبولة لأنها تفتقر للقرائن الصلبة، ولا تستند إلى أي دليل بصري أو استخباراتي قوي، أو تصعيد سياسي من جانب الولايات المتحدة الأمريكية، أو استثمار إعلامي حقيقي من إيران.

ثالثًا: حسابات السياسة والإستراتيجية (Strategic Calculus)

ضرب حاملة طائرات أمريكية يعني عمليًا الانتقال من حالة توتر إلى حرب مفتوحة مع الولايات المتحدة الأمريكية، وهذا قرار ضخم جدًا، له تبعات كبيرة تتمثل في رد عسكري مباشر قد يضرب العمق الإيراني، ومن ثم تصعيد إقليمي واسع، وتدخلات دولية سريعة.

لكن مع ذلك، وإضافةً، هناك حقيقة لا تغيبب عن أي أحد، وهي أحيانًا الأنظمة العسكرية تُبقي بعض التفاصيل غامضة عمدًا، ليس لإخفاء ضربة ، بل لتفادي كشف نقاط ضعف تشغيلية، والفرق بين إخفاء عيب و إخفاء ضربة صاروخية فرق شاسع جدًا.

الاثار المترتبة على انسحاب الحاملة

ترتب على انسحاب جيرالد فورد من مسرح العمليات، عدة آثار سياسية ومعنوية وعملياتية، يمكن أن نجملها كما يأتي:

أولًا: الآثار والاشارات السياسية (Signaling Political) للانسحاب على الولايات المتحدة:

1_ انسحاب الحاملة العملاقة يعتبر تقليلا للمخاطر دون إعلان تراجع، لأن القرار يُقرأ كخفض للتصعيد عبر إعادة التموضع de-escalation by repositioning، لا كانسحاب withdrawal.

2_ الإبقاء على الحاملة داخل شرق المتوسط يحافظ على قيمة option value وجود عدة بدائل مفتوحة للعودة السريعة ويعني أيضا تجنّب تعريض منصة استراتيجية لأعطال إضافية تحت ضغط قتالي، أو بتعبير آخر حماية رأس مال الردع.

3_ يرى الحلفاء الأوروبيين للولايات المتحدة في الانسحاب خطوة عقلانية تقلل احتمالات الانفجار الإقليمي، وفي المقابل، بعض شركاء المنطقة قد يقرأها كاختيار الأمان النسبي على المغامرة العالية، أو سلوك فيه تجنّب مخاطر risk aversion فهو ليس ضعفا بل إدارة محسوبة للخطر، ويحتاج تعويضًا بوسائل أخرى.

أما لآثار السياسية لانسحاب جيرالد على إيران فيمكن قرأتها على النحو الآتي:

1_ مساحة دعائية

يمكن تسويق الحدث داخليًا كإجبار غير مباشر على الانسحاب، ورفع السقف الخطابي دون تكلفة عسكرية حقيقية.

2_حذر استراتيجي

لا يوجد دليل على الرغبة في دفع الأمور إلى حرب مفتوحة مع الولايات المتحدة، ويمكن قراة الرسالة الضمنية: الضغط منخفض الكلفة ينجح جزئيًا .

ثانيا: أثر الوضع العملياتي (Posture Operational) لانسحاب الحاملة جيرالد

1_ساهم الانسحاب في توليد فجوة قدرة مؤقتة (Capability Gap) لان غياب جناح جوي لحاملة، من شأنه أن يقلل من كثافة الطلعات، ومن ثم المقدرة على الاستجابة الفورية للتهديدات البحرية/الساحلية.

2_يشكل نقصا غير متوقع في القوة الحربية الجوية.

3_انسحاب جيرالد وابتعادها عن البحر الأحمر يقلل قابلية الاستهداف بأسلحة غير متكافئة (صواريخ/مسيّرات) ومقابل ذلك، يزيد زمن الاستجابة قليلًا باعتباره مرونة أعلى، وفتح باب مناورة أوسع تكتيكيا (مقايضة محسوبة).

ثالثا: الأثر المعنوي/النفسي لانسحاب جيرالد (Morale & Perception)

بالنسبة للقوات الأمريكية قد يتم فهم عملية الانسحاب كخطوة صيانة، تُساعد في حماية الجاهزية وتحسين الثقة في القيادة التشغيلية، وليس باعتباره إخفاقا.

اما لدى الطرف الايراني، يعطي بعض الانطباعات عن حذر زائد، لكن دون اهتزاز جوهري في صورة الردع، وربما تساهم في رفع معنويات الخطاب، وتوفير مادة جاهزة للدعاية.

عودة القوة الضاربة: السيناريوهات المحتملة

بناء على ما سبق فإن السيناريوهات حول عودة القوة الضاربة جيرالدفورد يمكن تصورها على النحو الآتي:

السيناريو الأول

نسبة لظروف فترة الانتشار الطويلة جدًا التي قضتها الحاملة في البحر، وهي غير مثالية تشغيليا، اضافة للعطل الفني الذي اصابها نتيجة حادث داخلي نتيجة حريق، مع اجهاد تشغيلي (Operational Degradation) في أنظمة الحاملة المعقدة، التي اصلا تواجه مشاكل تقنية منذ دخولها الخدمة، يعتبر التوجه إلى قاعدة آمنة في اليونان للصيانة بدل الرجوع لأمريكا، اعادة تموضع وليس انسحابا كاملا.

ولأن الولايات المتحدة تميل للحفاظ على رمزية الحاملة في مسارح التوتر، ولأنه لا توجد أضرار هيكلية كارثية في جسم الحاملة، ولحوجة الولايات المتحدة لاستمرار الردع البصري (Visible Deterrence) فمن المتوقع عودة مشروطة وسريعة لحاملة الطائرات (Conditional Return) بعد اجراء الصيانة واختبار الجاهزية.

السيناريو الثاني

لأن التهديدات في منطقة الشرق الأوسط عبارة عن (مسيّرات + صواريخ) فإنها تجعل الحاملة هدفا عالي القيمة وعالي المخاطر، ولأن العقيدة الأمريكية الحديثة تتحرك نحو توزيع القوة المميتة، وتقوم على قاعدة تناوب حاملات الطائرات في الإنتشار rotation carrier أي أعادة التوزيع في وجود حاملات أخرى جاهزة للدخول، فإنه ربما تتجه القيادة الأمريكية إلى استبدال تكتيكي + قوة موزعة (Distributed Force Model) بدلا من الاعتماد على حاملة واحدة ضخمة، والقوة الموزعة تكون في شكل نشر مدمرات بصواريخ موجهة، غواصات، طائرات من قواعد برية، قاذفات بعيدة المدى (تقليل الاعتماد على هدف كبير واحد) والنتيجة تكون هي فقدان الاستعراض، لكن كسب المرونة، صعوبة الاستهداف، واستدامة أطول، عبر إعادة التموضع التكتيكي (Strategic Rebalancing).

السيناريو الثالث

السيناريو الأخير هو ان تبقى الحاملة خارج مسرح البحر الأحمر لفترة طويلة (انسحاب ممتد (Extended Withdrawal) ويتم تعويضها بالكامل بوسائل أخرى، إذا ظهرت مشاكل تقنية أعمق، أو لو قررت واشنطن خفض التصعيد بشكل واضح، لكنه يظل احتمالا ضعيفا، لأن غياب الحاملة يمثل فراغ رمزي واستراتيجي كبير.

مهما يكن من أمر، فإن ما جرى يتجاوز كونه حادثًا عرضيًا بل يظهر، لهذه الاعتبارات، قيود القوة حين تُمارَس بكل غشم حتى تظهر على حقيقتها، ويكشف عن نقاط ضعفها، لتصبح أساطير الردع الأمريكي، مهما أُقيمت على أعمدة القوة النووية والتسليح المتقدم، عرضة للانكشاف أمام واقع الميدان ومتغيرات المسرح الاستراتيجي والعملياتي.

المحتويات

1_ الصيدلية والوجود: حين تصبح الحقيقية وجهة نظر
2_هذا الحادث اللغوي المروع
3_عن الرجل الذي خلع ملابسه وفواصل أخرى
4_تسابيح والرجل ذو العباءة: سرد التناقض الفج
5_عن طبائع النفس ومقاصد النص
6_ريبيكا كوانغ ..حين تنتصر الكاتبة للنص قبل المنصّة
7_ الإنسانية قبل البروتوكول: دروس من جامعة ميريلاند
8_أبو مرداع :حين يكون الصدق سيرة حياة
9_قليل من الطيبين ..كثير من الظالمين
10_الفئران في ستين داهية.. رسمياً
11_إيران والشيطان الأكبر واحتمالات المواجهة
12_عن الاستبداد ومصير "ماري انطوانيت"
13_ بين الميل والوازع

14_اللي جاهروا بالعمالة

15_فضائيتان في زمن الحرب وزي السكر

16_عودة القوة الضاربة: السيناريوهات المحتملة